

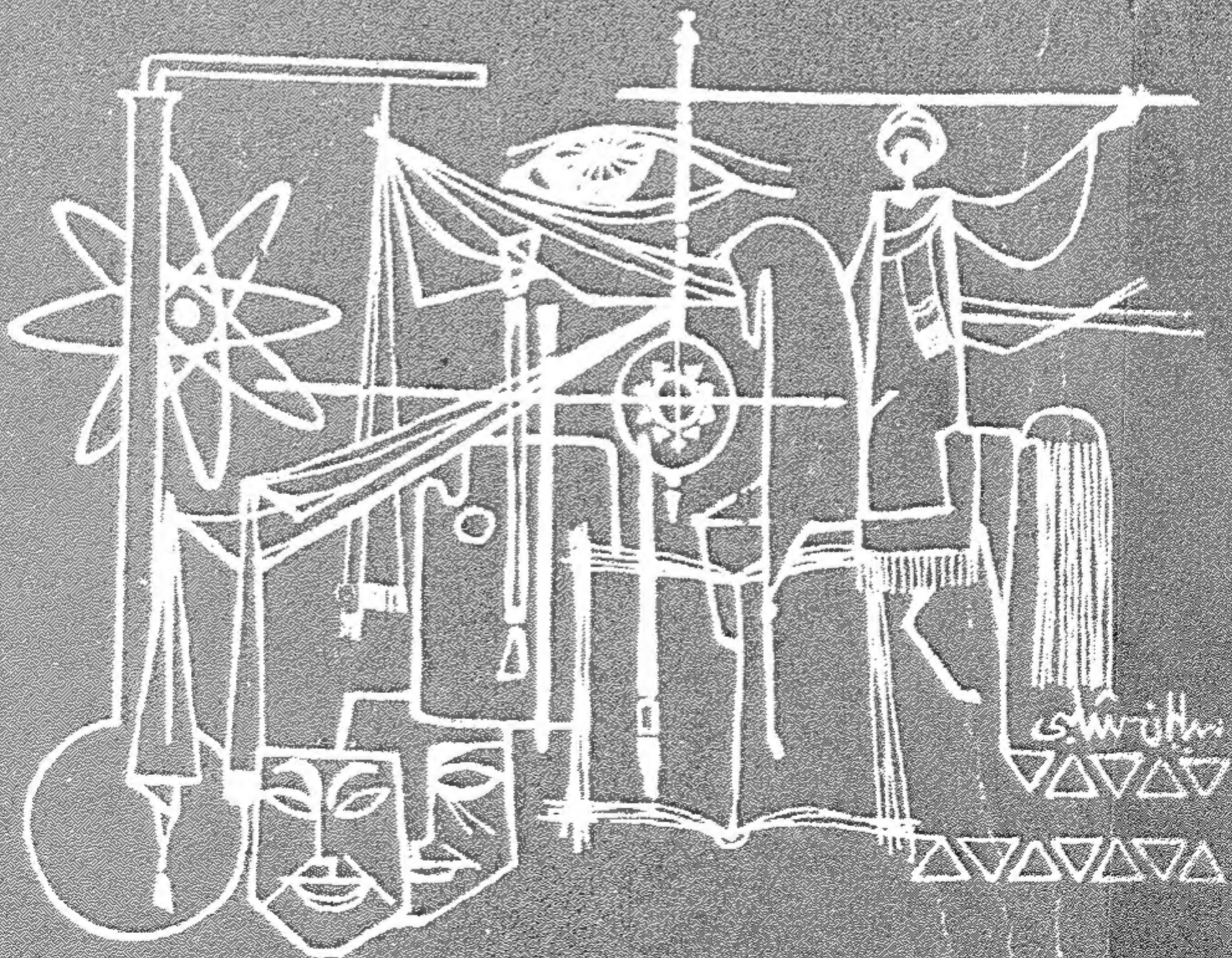
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المكتبة
الثقافية
العدد ٢٦٥

هُومَيْرُوسٌ

شاعر الإلياذة والأوديسا

بقلم : الدكتور عبدالمعطي شعراوي



للمكتبة الثقافية

جامعة حرة

٢٦٥

هو مير وس

شاعر الإلياذة والأوديسا

بقلم : الدكتور عبدالمعطي شعراوي

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

١٩٧١

الى زهرة اذبلتها الايام في ريعان الشباب
الى شعلة خبت جنوتها قبل الاوان
الى روح طاهرة سرعان ما القيت خالقها
الى استاذي الدكتور محمد صقر خفاجه
د. عبد المعطي شعراوي

مقدمة ..

كم حصلت الالياذة والأوديسا من اعجاب على مدى الأجيال ، وكم كان لهما من التأثير على كافة الأعمال الأدبية والفنية عبر الأجيال التالية . ان هاتين الملحمتين الخالدين كانتا وما زالتا حتى اليوم رمزا لفن من الفنون الخالدة ، وأنموذجا للعمل الفنى الناضج ، ودليلا على صحة المثل القائل « حياة الانسان قصيرة ، والعمل الفنى خالد » . واننى اذ أكتب اليك - أيها القارئ العربى الكريم - عن هاتين القصيدتين فى ذلك الايجاز وتلك البساطة، المتصفتين بالعمق والاتصال وشدة التركيز ، واللتين تمتاز بهما أغلب مطبوعات « المكتبة الثقافية » - اننى اذ أفعل ذلك ، لمدرک تمام الادراك مدى صعوبة المهمة التى أنا مقبل عليها . فبقدر ما أثارت الالياذة والأوديسا من اعجاب وأحدثت من

تأثير كان ما أثارت من مناقشات وأحدثت من خلافات بين علماء العالم ومفكره فى كل مكان وفى كل عصر . فمن قائل : ان هوميروس لم ينظم هاتين القصيدتين ، بل جمع عددا من القصائد القصيرة التى تتناول احداثا لها علاقة بحرب طروادة ورتبها وربط بينها وقسمها الى مجموعتين الاولى تدور أحداثها حول غضب أخيلئوس والثانية حول عودة أودوسئوس ، ومع مضي الزمن أطلق على المجموعة الاولى اسم الالياذة والثانية الأوديسا . ومن قائل : ان هوميروس لم ينظم سوى الالياذة فقط ، بينما نظم شاعر غيره الأوديسا التى نسبت خطأ بعد ذلك الى هوميروس . ومن قائل : ان هوميروس لم يكن سوى منشد احترف انشاد الأشعار الفولكلورية ، ثم جمعت تلك الأشعار بعد ذلك بواسطة أشخاص آخرين ونسبت خطأ الى هوميروس . كما أن هناك أيضا من يثير الشك حول اسم هوميروس نفسه، فيجادل بأن لفظ هوميروس - ومعناه الأعمى - ليس الا لقباً لقب به منشد أو شاعر أعمى كما يحدث بين كافة الأقوام ولم يحفظ التاريخ الاسم الحقيقى فأصبح ذلك المنشد أو الشاعر يعرف بلقبه فقط . بل وأكثر من ذلك فان هناك من ينكر وجود شخص سمي أو لقب هوميروس ، ويجادل بأن هوميروس ليس الا شخصية وهمية جالت فى

خيال القدماء طيفا استطاع أن يسيطر على ألبابهم فأصبح شخصية شبه حقيقية فرضت وجودها فيما بعد على أغلب العلماء ومؤرخي الأدب في العصور الحديثة .

ومهما اختلفت الآراء حول شخصية مؤلف الالياذة والأوديسا ، ومولده ، وسيرته ، وتحديد العصر الذي عاش فيه ، ومدى علاقته بالأحداث التي تناولها الملحمتان ، ومدى ما أسهم به في سبيل اخراجهما الى حيز الوجود - مهما اختلفت الآراء وتعددت ومهما بدت معظم الحقائق اليوم مهددة بالضياع ، فان هناك حقيقة واحدة لا ينكرها أحد ، هو وجود درتين رائعتين تزداد قيمتهما على مدى الأجيال . وقد لا يهم قارئ «المكتبة الثقافية» كثيرا ان كان هوميروس هو الذي نظم الالياذة والأوديسا ، أو نظم الالياذة فقط ، بل كل ما يهمه هو الالياذة والأوديسا في حد ذاتهما وبحالتهما الراهنة . لذلك فان الهدف من هذا الكتيب هو تقديم هاتين الملحمتين لقارئ « المكتبة الثقافية » ، لعله يجد في هذا التقديم ما يغريه على محاولة العودة الى النصوص الكاملة للملحمتين ومتابعة ما يتعلق بهما من دراسات . ولعل ما يحبذ أيضا فكرة عدم التعرض لمؤلف الالياذة والأوديسا ومكانته في العصور القديمة والحديثة هو ظهور كتابين باللغة العربية قدما الى القارئ العربي

بعض المعلومات ، التى قد تبدو كافية الى حد ما فى الوقت الحاضر ، والتى تعرض مؤلفاها لدراسة هذا الموضوع . أول هذين الكتابين هو كتاب « هوميروس - شاعر الخلود » ، تأليف الدكتور محمد صقر خفاجة ، الذى صدر فى عام ١٩٥٦ عن دار نهضة مصر بالقاهرة . انه يتعرض لحياة هوميروس والمشكلة الهوميرية وتأثير هوميروس على الكتاب والأدباء فى العصور القديمة والحديثة مع ترجمة لبضع فقرات قصيرة من كل من الملحمتين . وثانيهما كتاب « هوميروس - تاريخ حياة عصر » ، تأليف الدكتور لطفى عبد الوهاب يحيى ، الذى صدر فى عام ١٩٦٨ عن مركز التعاون الجامعى بالاسكندرية . انه يتعرض فى ايجاز لحياة هوميروس والمشكلة الهوميرية أيضا لكنه يهتم بدراسة مادة الالياذة والأوديسا ومدى علاقتها بالتاريخ . واذ أنه ليس من الممكن حتى الآن الأخذ برأى نهائى حول مؤلف الالياذة والأوديسا ، واذ أنه من الصعب أيضا أن يتحاشى المرء ذكر المؤلف أثناء حديثه عن هاتين القصيدتين ، فقد رأيت من الأفضل استخدام كلمة هوميروس للدلالة على مؤلف - أو مؤلفى - الالياذة والأوديسا . فان لم يكن هوميروس اسما لشخصية حقيقية قامت بنظم إحدى الملحمتين أو كليهما

فلا أقل من أن يكون رمزا للعبقرية المجهولة التي أخرجت
هاتين الملحمتين الى حيز الوجود .

واننى لأرجو الله عز وجل أن يحقق هذا التقديم الموزن
للالياذة والأوديسا الغرض المرجو والأمل المنشود .

القاهرة ١٩٧١ .

دكتور عبد المعطى شعراوى

كيف وصلتنا نصوص الإلياذة والأوديسا ؟

تنقسم كل من الإلياذة والأوديسا - كما نعرفها اليوم - الى أربعة وعشرين جزءا ، أو - كما سماها النقاد القدامى - أربع وعشرين أنشودة . ولم يلزم هذا التقسيم المدمجتين منذ بداية ظهورهما ، بل تم تقسيمهما على هذا النحو بواسطة نقاد لاحقين على عصر هوميروس . ومن الملاحظ أن كل أنشودة من هذه الأناشيد كان يرمز لها بحرف من الحروف الأبجدية الاغريقية الأربع والعشرين . كان يرمز لأناشيد الإلياذة بحروف كبيرة ولأناشيد الأوديسا بحروف صغيرة . فمثلا كان يرمز للأنشودة الأولى من الإلياذة بالحرف A ، بينما كان يرمز للأنشودة الأولى من الأوديسا بحرف α . ولعل ذلك يؤكد أن هذا التقسيم ظهر بعد أن اكتمل تطور الأحرف الأبجدية الاغريقية وأصبح عددها أربعاً وعشرين حرفاً . ويرى العلماء أن عملية التقسيم قام بها العالم السكندري زينودوتوس ، الذي ولد عام ٣٢٥ ق . م . تقريبا ، والذي

عين أول مدير لمكتبة الاسكندرية عام ٢٨٤ ق . م . ونقد
قام زينودوتوس بأول محاولة علمية لنشر أشعار هوميروس
عن طريق مضاهاة عدد لا بأس به من المخطوطات التي كانت
معروفة في عصره . كما قام أيضا بإجراء عديد من التعديلات
وحذف بعض الأبيات وإضافة بعض أبيات أخرى لم تكن
موجودة في أغلب المخطوطات التي عشر عليها .

وتنتهى كل أنشودة عادة مع نهاية جزء مستقل من
أجزاء الحدث في كل من الملحمتين ، وربما يتفق هذا
التقسيم مع أسلوب تقسيم المنشدين لأجزاء الحدث في كل
من الملحمتين أثناء روايتها ، فمثلا تنتهى الأنشودة الأولى
من الإلياذة وتبدأ الثانية منها بعبارات تقليدية اعتاد أن
يبدأ بها المنشدون وأن يختتموا بها أيضا روايتهم . لكن
مما هو جدير بالذكر أن نهاية الأنشودة الأولى قد تبدو
متناقضة مع بداية الأنشودة الثانية . فالأولى تنتهى بهذه
العبارة « عندئذ ذهب زيوس الى فراشه لينام . . » بينما
تبدأ الثانية بهذه العبارة « والآن يسيطر النعاس على
جميع الآلهة والبشر ، أما زيوس فلم يدرك النعاس عينيه »
كذلك تنتهى الأنشودة التاسعة من نفس الملحمة بهذه
العبارة « وما أن انتهى ديوميديس من حديثه . . حتى ذهب
قادة الاغريق كل الى مأواه لينعم بالنوم اللذيذ » ، بينما
تبدأ الأنشودة العاشرة بهذه العبارة « لقد قضى قادة الاغريق
الليل بجوار سفنهم دون أن تنعم جفونهم بالنوم
اللذيذ » . كما أن الأنشودة الخامسة من الأوديسا تعيد

رواية تفاصيل الاجتماع الذي عقده الآلهة والذي سبق روايته في بداية الأنشودة الأولى . وتتكون الالياذة من ١٥٦٩٣ بيتا والأوديسا من ١٢٢١٠ بيتا ، ويتراوح عدد أبيات الأنشودة الواحدة في الملحمة الأولى بين ٢٦١ بيتا (الأنشودة الثالثة) و ٩٠٩ بيتا (الأنشودة الخامسة) وفي الثانية بين ٣٣١ بيتا (الأنشودة السادسة) و ٨٤٧ بيتا (الأنشودة الرابعة) .

ورغم معارضة نفر قليل من مؤرخي الأدب ، فمن المرجح أن الالياذة والأوديسا خرجتا الى حيز الوجود في وقت كانت فيه الكتابة والتدوين قد تم ابتكارهما . وإذا لم يكن هوميروس هو أول من استخدم الكتابة في تدوين اشعاره فانه على الأقل قد نظمها في عصر لم يكن التدوين قد أصبح شيئا مألوفا ، اذ أن الطابع الشفاهي يغلب على صياغة كل من الملحمتين . لكن ذلك لا يعنى أن اشعار هوميروس دونت ونشرت على نطاق واسع فور صدورهما ، بل كان يتناقلها جماعة من المنشدين من جيل الى جيل عن طريق الرواية . ولعل ما يؤكد نشاط وفاعلية هؤلاء المنشدين والرواة هو ما ترويه المصادر القديمة من أن واحدا من أبناء بيسيستراتوس أصدر أوامره - أثناء الربع الأخير من القرن السادس قبل الميلاد - بأن تنشد جميع اشعار هوميروس كاملة أثناء أعياد الباناثينايا بواسطة مجموعات من المنشدين . ربما اعتمد هؤلاء الرواة والمنشدون على نسخة مخطوطة لأشعار هوميروس كانوا

يتوارثونها جيلا بعد جيل . فان كان الأمر كذلك ، فان هؤلاء الرواة والمنشدين لابد وأنهم لعبوا دورا هاما وخطيرا في نشر أشعار هوميروس . كما أن انشاد الأشعار الهوميرية أثناء أعياد الباناثينايا ليؤكد أهمية الدور الذي لعبته مدينة أثينا أيضا في نشر تلك الأشعار .

لقد ظهرت مجموعات متعددة من العلماء تسابقت في دراسة وتفسير الأشعار الهوميرية منذ العصور المبكرة للتاريخ الاغريقي . ففي القرن السادس قبل الميلاد ظهر ثياجينيس الريجي وهو اول من قام بدراسة أشعار هوميروس . ثم واصلت تلك المجموعات ما بدأه ثياجينيس، فظهرت كتابات ستسيخزروس الثواسي في القرن الخامس قبل الميلاد ، وكريتييس المالوسي في القرن الثاني قبل الميلاد . واستمر اهتمام العالم القديم بدراسة أشعار هوميروس منذ ذلك الوقت حتى عصر العالم البيزنطي ترتزيس الذي عاش في القرن الثاني عشر بعد الميلاد . ولم تجذب أشعار هوميروس انتباه النقاد ومؤرخي الأدب الاغريق فقط ، بل وجذبت انتباه فلاسفتهم أيضا مثل ديموكرييتوس الذي أنشأ مقالا رائعا عن لغة هوميروس ، وأفلاطون وأرسطو اللذين دأبا على مناقشة الأشعار الهوميرية والاستشهاد بفقرات منها . وفي العصر السكندري ارتبطت أشعار هوميروس بأسماء ثلاثة من كبار علماء الاسكندرية : زينودوتوس (أوائل القرن الثالث قبل الميلاد) وأريستوفانيس البيزنطي (٢٥٧ - ١٨٠ ق.م)

وأريستارخوس الثاموثريسي (٢١٧ - ١٤٥ ق.م) ، الذين عكفوا على تحقيق نصوصها ودراستها والتعليق عليها كل بطريقته الخاصة وحسب مفهومه الخاص . وأثناء العصور الرومانية لم يكف العلماء والنساخ عن دراسة تلك الأشعار ونشرها والتعليق عليها ، فظهر عدد لا حصر له من المعلقين ، الذين لم يأخذوا برأى علماء الاسكندرية ، وأهمهم : أرتونيكوس الذي عاش في عصر الامبراطور أوغسطس ومعاصره ديديموس ، وهيروديانوس الذي عاش أثناء حكم الامبراطور ماركوس أوريليوس ، ومعاصره نيكانور . ولقد قام عالم غير معروف - يدعى نيسيون في العصر البيزنطي - بجمع كل تلك التعليقات ، التي كتبها هؤلاء العلماء الأربعة كل من وجهة نظره الخاصة ، ونقشها على ألواح فخارية ظلت باقية حتى اكتشفت بعد نهاية القرون المظلمة في أوروبا . ثم واصل النساخ بعد ذلك نسخ الأشعار الهوميرية وجمع التعليقات اللفظية والشروح التي أنشأها المعلقون والشرح المتعاقبون ، حتى أصبح لدينا الآن حصيلة لا بأس بها من المخطوطات التي ساعدت النقاد في العصر الحديث على دراسة الملحمين .

وأقدم طبعة للأشعار الهوميرية هي التي نشرها ديمتريوس خالكونديلوس في فلورنسا عام ١٤٨٨ م ، ثم تبعها طبعة ألدين عام ١٥٠٤ م . بعد ذلك توالت طبعات متعددة لا يمكن حصرها في هذا المكان الضيق . ولكن حتى تكتمل الفائدة المرجوة من هذا الكتيب ، فلا بأس من

الإشارة إلى عدد ضئيل - على سبيل المثال - من الطبقات الهامة التي يستطيع القارئ الحديث أن يعتمد عليها . فمن أفضل الطبقات التي ظهرت في إنجلترا طبعة د. ب. مونرووت . و . ألن للآيافة (الطبعة الثالثة، أوكسفورد، عام ١٩٢٠) ، وطبعة ت. و . ألن للأوديسا (الطبعة الثانية ، أوكسفورد ، عام ١٩١٩) ، وفي ألمانيا الطبعة التي أعدها برونو سنل وأصدرتها دار برلين - درامشتات في عام ١٩٥٦ ، وفي فرنسا الطبعة التي قام بتحقيقها ب. مازون ونشرها ضمن مطبوعات جامعة باريس عام ١٩٤٩ ، وفي إيطاليا الطبعة التي أعدها مارتينا ترولي والتي صدرت في روما عام ١٩٤٨ . وتحتوي جميع هذه الطبقات على مقدمات طويلة وتعليقات وافية ، كما تحتوي بعضها أيضا على ترجمات دقيقة عن الأصل الإغريقي . أما في الشرق العربي فلم يفكر عالم واحد في نشر الأشعار الهومييرية ، رغم أن أجزاء عديدة منها اكتشفت مكتوبة على أوراق بردية في جوف رمال مصر .

وحتى الآن لم تظهر ترجمة عربية واحدة يمكن الاعتماد عليها ، رغم ظهور بعض مجلدات تحمل عنوان الآيافة أو الأوديسا . فبالرغم من روعة النص العربي الذي نشره سليمان البستاني في بيروت منذ أكثر من نصف قرن فإنه ليس ترجمة دقيقة للنص الإغريقي ، كما أنه لا ينقل إلى القارئ العربي صورة صادقة لما عليه هذه الأشعار . وبالرغم من طرافة النص العربي الذي كتبه

درينى خشبه ، فانه « صياغة عربية ، للآيافة والأوديسا
ليس الا . ففى مقدمة الآيافة نقراً هذه الكلمات « فلقد
اتبع الكاتب العربى فى صياغته للآيافة ثم للأوديسا من
بعدها نفس الطريقة التى اتبعها جورج تشابمان ، ألا
وهى إعادة كتابة ملحمة هوميروس بالأسلوب والبناء اللذين
يعتقد أنهما أصلح لعصره وأكثر ملاءمة للغة . ان الأحداث
التي سيجدها القارئ هنا سابقة لبداية أحداث الملحمة
الأصلية أو تالية لنهايتها ، موجودة بنفس النسيج داخل
الملحمة الأصلية ، ولكن درينى خشبه حاول أن « يفرد »
هذه الأحداث ، وأن يضعها فى مكان من البناء الفنى يتلاءم
مع التسلسل الطبيعى للزمن ، لكى يحصل على أكبر قدر
ممكن من تسلسل الأحداث للملحمة بحيث لا يخل بحبكاتها
الرئيسية . . ومن ناحية أخرى فقد أثر درينى خشبه أن
يلخص بعض المقاطع . . كما حذف مقاطع أخرى . . »
ولقد آثرنا نحن أيضاً أن نقراً معاً هذه الفقرة من مقدمة
الآيافة درينى خشبه كى يتنبه القارئ بل ويتأكد من أنه
رغم جمال النص العربى وطرافته ورغم جاذبيته وتأثيره
على الباب عدد لا حصر له من قراء العربية غير المتخصصين
فى الآداب الكلاسيكية فانه لا يتعدى أن يكون ملخصاً هزئياً
لأحداث الآيافة والأوديسا . ومنذ بضع سنوات أصدرت
« مطبوعات كتابى » ثلاثة مجلدات (رقم ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧)
بعنوان « الآيافة ، الملحمة الخالدة لشاعر اليونان القديم
هوميروس » ترجمها أمين سلامة عن « الأصل اليونانى

المقارن » . وفى نفس العام تقريبا أصدرت دار بنك الأدباء (?) الجزء الأول من « أوديسية هوميروس » ترجمها أمين سلامة أيضا عن « الأصل اليونانى المقارن » . ولعلنا نقف قليلا عند عبارة « عن الأصل اليونانى المقارن » ، فهى عبارة غريبة ابتكرها أمين سلامة ونقشها على جميع أغلفة ترجماته التى قام بها حتى الآن حتى لا يتيح الفرصة للمقارئ العربى أن يهتدى الى النص الأصيل الذى ترجم عنه المترجم .

والحقيقة هى أن المقارئ العربى لا يستطيع اليوم أن يجد ترجمة عربية جيدة لأشعار هوميروس ان هو أراد أن يقف على أحداث كل من الملحمتين ودراحل تطور الحدث الرئيسى وكيفية تسلسله وكيفية الربط بين أجزائه المختلفة . ولعل هذه الحقيقة تبرر ما سوف يراه المقارئ فى هذا الكتيب من تلخيص مفصل لأحداث كل من الإلياذة والأوديسا دون محاولة الربط بين أجزاء الحدث أو مع التفاضى عن اظهار بعض التناقضات الكائنة بين أجزاء الملحمة .

مادة الإلياذة

ان الحديث عن مادة الملحمة أو بعبارة أخرى عن المصدر الذى استمد منه الشاعر موضوع ملحمة يعنى الحديث عن الخلفية التاريخية لموضوع تلك الملحمة . ولقد أثبتت الدراسات المقارنة للملاحم المختلفة التى بين أيدينا الآن أن الشاعر الملحمى كان يستمد موضوعه من حادثة تاريخية ، لكنه يعالج تلك الحادثة بحرية تامة فيما يتعلق بالشخصيات والزمن وتطورات الحدث .

ولقد اختلف العلماء فيما بينهم اختلافاً بينا حول الأحداث التى تتناولها ملحمة الإلياذة ، فهناك من يرى - وعلى رأس هؤلاء العالم الانجليزى رايز كاربنتر - أن أحداث الإلياذة ليست الا نسيجا من تخيلات شاعر عبقرى ، بل انه يذهب الى حد الاعتقاد بأن حرب طروادة نفسها ليست الا أسطورة لا تستند على حقائق تاريخية يمكن الوثوق بصحتها . بينما يقف على طرف نقيض من ذلك مجموعة أخرى من العلماء - وعلى رأسهم العالم الانجليزى

أيضا دنييس بادج - الذين يؤكدون أن حرب طروادة انما هي واقعة تاريخية يمكن اثباتها عن طريق دراسة بعض الشواهد الأثرية والأدبية الضاربة في القدم . وترى هذه المجموعة الأخيرة أن موضوع الإلياذة يعبر الصراع بين الآخيين (وهو لقب قديم من ألقاب الاغريق) وقاعدتهم التي كان مركزها في ذلك الوقت جزيرة رودوس وحلف أصوا الذي كانت تنضم اليه مدينة طروادة ، وأن ذلك الصراع قد قام أثناء الفترة التي كان فيها سلطان الدولة الحيثية آخذا في الانهيار .

والحقيقة أن الموضوع في حد ذاته غير واضح تمام الوضوح ، اذ أن معلوماتنا عن الألف عام الثانية قبل الميلاد مازالت قاصرة . ولقد بذل علماء الآثار مجهودات ضخمة من أجل القضاء بعض الضوء على تاريخ مدينة طروادة ، ومحاولة الحصول على بعض المعلومات عن موقع المدينة وتخطيطها . حدد شليمان موقع المدينة وعثر على بقايا المباني ، ثم قام دوربفيلد بدراسة ما اكتشفه شليمان ، ثم بعد ذلك قام بلجن بمراجعة هذه البقايا ودراستها دراسة فاحصة على ضوء المعلومات التي حصل عليها من مصادر أخرى متعددة . ولقد قدمت إلينا تلك الدراسات الضخمة التي قام بها هؤلاء العلماء الثلاثة أدلة هامة ساهمت في توضيح مدى العلاقة بين موضوع ملحمة الإلياذة والحقيقة التاريخية لمدينة طروادة . ان الآثار الموكينية تؤكد وجود

علاقات - غالبا ما كانت علاقات غير ودية - بين مدينة موكيناي وسكان شبه الجزيرة الاغريقية . ولقد أثبتت الاكتشافات الأثرية أن مدينة طروادة قد أقيمت أكثر من مرة وتحطمت أكثر من مرة أيضا . وتذكر الروايات القديمة أن مدينة طروادة المشار اليها في الالياذة سقطت عام ١١٨٤ ق.م . بينما يؤكد بلجن - بعدما قام به من دراسات أثرية بارعة - أن مدينة طروادة السابعة قد سقطت عام ١٢٠٠ ق.م . تقريبا ، وأن مدينة طروادة السادسة قد دمرت عام ١٣٠٠ ق.م . تقريبا . فاذا كان الأمر كذلك ، فمن الأرجح أن طروادة المشار اليها في الالياذة هي مدينة طروادة السابعة . لكن فريقا آخر من العلماء يرجح أن طروادة السادسة هي المشار اليها في الالياذة . فالشواهد التاريخية والأثرية تشير الى أن طروادة السادسة قد دمرت بواسطة زلزال ، والزلازل - طبقا للأساطير والمعتقدات الاغريقية - كانت تخضع للاله بوسيدون . وفي الالياذة نرى أن طروادة قد دمرت بواسطة الحصان الخشبي ، ورغم أن الحصان الخشبي - طبقا لما جاء في الالياذة - قد أرسلته الربة أثينة ، الا أنه - طبقا للأساطير والمعتقدات الاغريقية - كان رمزا للاله بوسيدون . وسواء أكانت طروادة المشار اليها في الالياذة هي مدينة طروادة السادسة التي دمرت عام ١٣٠٠ ق.م . أو مدينة طروادة السابعة التي دمرت عام ١٢٠٠ ق.م . فالمهم هو أنه ثابت من الناحية الأثرية والتاريخية أن مدينة طروادة قد وجدت

فعلا ، وكانت تقع فى آسيا على بعد أربعة أميال من مدخل الدردنيل وهى المنطقة المعروفة اليوم باسم هيسارليك .

وكما أثبتت الشواهد التاريخية والأثرية قيام مدينة طروادة ، فقد أثبتت أيضا قيام حرب طاحنة بين تلك المدينة وبين جيرانها من الشعوب الآسيوية والأوربية . وطبقا لما جاء فى الإلياذة فقد اشترك فى الحرب قوات من جنسيات مختلفة . فمن المعروف أن مدينة بولوس كانت مركزا هاما من مراكز الحضارة الموكينية . ولذلك نلاحظ فى الإلياذة وجود آثار للميثولوجيا الموكينية مثل الإشارة الى معركة الأركادين فى الأنشودة السابعة من الإلياذة ومعركة الإيين فى الأنشودة الحادية عشرة . كما أن نستور - أحد القادة الذين اشتركوا فى حصار طروادة - ينتمى الى تلك المنطقة . ومن المعروف من الناحية التاريخية أن الموكينيين أقاموا مستعمرات فى جزيرة رودوس ، وأنهم كانوا على علاقة باللوكين .

وتتفق هذه الحقائق التاريخية مع ما جاء فى الإلياذة . فمن بين الأبطال المشتركين فى الحرب الطروادية أبطال لوكيون مثل جلاوكوس وبنداروس وساربيدون . هذا بالإضافة الى أن بعض المعلقين القدامى يرون علاقة بين باريس ومنطقة تساليا وبين هيكتور ومنطقة وسط شبه الجزيرة الاغريقية . مما لا شك فيه اذن أن قصة حصار طروادة - كما جاءت فى الإلياذة - تصور حربا

طاحنة اشترك فيها جيوش من أغلب مناطق العالم القديم في قارتي أوروبا وآسيا - وأن تلك الجيوش كانت تمثل شعوبا متعددة انقسمت فيما بينها الى معسكرين كبيرين واستمر القتال بين هذين المعسكرين فترة غير قصيرة .

أما عن الأسباب التي أدت الى قيام تلك الحرب الطاحنة ، فهي ليست واضحة تمام الوضوح . لكن من المعروف أن الممالك الواقعة في آسيا الصغرى كانت تنعم بالشراء الواسع وكان الذهب الذي تملكه يشع بريقا غالبا ما جذب اليها أنظار الشعوب المجاورة . كما أن ذلك الشراء كان يصاحبه رواج اقتصادي غالبا ما دفع بتلك الشعوب الى محاولة القضاء على تلك الممالك الآسيوية . فمن المرجح أن أسباب قيام الحروب الطاحنة بين طروادة والشعوب الاغريقية كانت أسبابا اقتصادية . لكن الالباب تشير الى وجود دافع مختلف للحرب ، انه اختطاف هيلينا زوجة مينيلادوس أحد ملوك الاغريق بواسطة باريس الأمير الوسيم وابن برياموس ملك طروادة . وشخصية هيلينا لها مكانتها في الميثولوجيا الاغريقية . فمن المؤكد أن هيلينا كانت ربة قدسها شعب ثيرابناي ، كما أن شعب رودوس أيضا اعتاد تقديسها في صورة شجرة مقدسة . ولقد أثار دهشة العلماء وجود أسطورة تروى أن البطل ثيسيوس اختطف هيلينا عندما كانت فتاة لم تبلغ بعد سن الزواج . كما أثبتت الدراسات الشائقة التي قام بها العالم الألماني نلسون وجود علاقة بين أسباب

قيام الحرب الطروادية وأسطورة مينووية قديمة تدور حول اختطاف ربة من ربّات الزرع والنماء . لذلك فالصراع بين المعسكرين الطروادى والاغريقى لا بد وأنه بدأ منذ عصور سحيقة اما لأسباب اقتصادية أو لأسباب شخصية أو لكليهما معا ، لكن اختيار هوميروس لقصة اختطاف هيلينا كسبب لقيام الحرب ربما كان مقصودا لما لها من مكانة فى الميثولوجيا الاغريقية ولما لها من علاقة بمجتمع الآلهة كما تخيلته شعوب موكناي والشعوب الاغريقية الأخرى .

والملاحظ أن الآلهة فى الالياذة تلعب دورا خطيرا . وتدل الشواهد التاريخية والأثرية على وجود تشابه بين نظام عالم الآلهة كما تخيله الموكينيون ونظام عالم الآلهة كما يظهر فى الالياذة ، بل وفى الأوديسا أيضا . فتأثير الديانة الموكينية واضح تمام الوضوح فى نظرة مؤلف الالياذة والأوديسا للآلهة . كما أن ما جاء فى الملحميتين كان له بدوره تأثيره الواضح على جميع أنواع الشعر الغنائى عند الاغريق فيما بعد . وبالإضافة الى ذلك ، فإن بعض العلماء يعتقدون فى وجود تأثيرات شرقية وخاصة تأثير الديانة الحيثية التى كانت قد تأثرت بدورها بالديانة البابلية .

أما من ناحية المادة الأسطورية فالالياذة لم تتناول قصة حرب طروادة فقط ، بل تعرضت أيضا لذكر أساطير أخرى ، فمن الواضح أن مؤلف الالياذة لا بد وأنه كان على

علم ببعض الأساطير الأخرى مثل الأساطير الموكينية - كما سبق أن أشرنا - ، وأساطير طيبة التي تناولت حصار قواد أرجوس السبعة لمدينة طيبة ، وأسطورة السفينة أرجو والبحث عن الفروة الذهبية . كما أن الإلياذة تحتوى أيضا على بعض إشارات إلى أساطير أو روايات أقل أهمية مثل أسطورة نيوبى التي يشير إليها أخيليوس فى الأنشودة الأخيرة من الإلياذة ، وأسطورة ملياجر التي يشير إليها فوينيكس فى الأنشودة التاسعة .

مادة الأوديسا

وكما استمد هوميروس مادة الإلياذة من مصادر متعددة لابد وأنها كانت معروفة لديه معرفة تامة فكذلك استمد أيضا مادة الأوديسا . لكن طبيعة مصادره في انشاء كل من الملحميتين تختلف عن الأخرى . ففي الآداب الشعبية القديمة غالبا ما تتردد قصة رجل ذهب في رحلة طويلة بعيدا عن وطنه . وتطول غيبة الرجل عن بيته وأهله وأصدقائه ، فيحسبون أنه قد لقي حتفه ، ويخبرو الأهل في العثور عليه حيا أو ميتا . ثم تمر الأعوام ، ويعود الرجل الغائب ، فيجد زوجته قد وقعت فريسة في أيدي رجال آخرين . ان أكثر من رجل أراد الزواج منها ، لكنها ترفض الواحد تلو الآخر . وفي النهاية تغلب المرأة على أمرها ، وترضى بزواج واحد منهم ، ويتحدد موعد الزواج . وغالبا ما يعود الزوج الغائب والزواج على وشك أن يتم ، فيطرد الطامعين ، ويسترد زوجته وبيته وأمواله . ان اسم تلك الزوجة - كما يرد في الأوديسا - هو بنيلوبي ، وهو

مركب من كلمتين : الأولى يعنى أصلها « نسيج » والثانية « يفك » . ويرى العلماء أن لفظ بنيلوبي يعنى « المرأة التى تفك النسيج » ، وأنه بذلك يشير الى الزوجة التى كانت تغزل أثناء النهار وتفك ما تغزله أثناء الليل ، حتى لا تنتهى من صنع هدية الزفاف التى بدونها لن يتم زواجها من أحد الطامعين فيها . وهذا هو العنصر الأول الذى يتكون منه موضوع الأوديسا .

أما العنصر الثانى فهو قصص الملاحين الرحل ، التى كانت معروفة حق المعرفة أثناء الألف الثانية قبل الميلاد لدى أهالى كريت ، تلك الجزيرة التى كانت مقرا لدولة ذات قوة بحرية هائلة . وهناك أيضا قصة مصرية قديمة يرجع تاريخها الى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م . تروى كيف حطمت العواصف أسطولا فأغرقته ولم ينج سوى ملاح واحد ، وكيف أن ذلك الملاح قاوم الأمواج وتعلق بكتلة من الخشب وظلت الأمواج تتقاذفه حتى ألقت به على شاطئ أحدى الجزر ، وكيف أنه قابل مخلوقات عجيبة وتعرض لأهوال تفوق التصور . ويبدو أن مثل تلك القصص كانت متداخلة ومتشابكة ، لذلك كان من الممكن الربط بين أحداثها المتعددة ووضعها فى شكل مجموعة من الحلقات المترابطة وجعلها تدور حول شخصية معينة مثل سندباد أو أودوسيوس . ويبدو أيضا أن أودوسيوس كان شخصية معروفة تقوم بمغامرات خيالية فى البحر ، وذلك منذ عصور ما قبل الهجرات التى كوّنت فيما بعد

الشعوب الاغريقية ، كما يبدو أيضا أن أودوسيوس لم يكن له علاقة بحرب طروادة .

أما العنصر الثالث الذى يتكون منه موضوع الأوديسا فهو قصة حرب طروادة . فلقد ربط مؤلف الأوديسا بين قصة الرجل الغائب الذى يقوم بمغامرات خيانية وقصة حرب طروادة . فأودوسيوس قد أصبح فى الأوديسا واحدا من أبرز القادة الاغريق الذين اشتراكوا فى الحملة ضد طروادة . وبالرغم من ذلك ، فإن شخصية أودوسيوس ما زالت تحتفظ بأغلب خصائصها القديمة ، فهو دائما « الرجل الذى يتحمل المتاعب » - ليس فى الأوديسا فقط بل وفى الالياذة أيضا - وهو « الرجل واسع الحيلة » و « الداهية الأعظم » .

أما العنصر الرابع فهو العلاقة بين البشر والآلهة . فالربة أثينة ساخطة على الطرواديين ، لذلك خانها تقف بجانب أودوسيوس ، تحميه وتدافع عنه وترسم له خطط النجاة ، وتصاحبه فى تجواله ، كما تصاحب أيضا ولده تليماخوس أثناء البحث عن والده . بل انها تظهر أيضا لزوجته البطل الاغريقى أثناء نومها . لكن بوسيدون لا يرضى عن أودوسيوس ، ويحاول القضاء عليه . أما رب الأرباب زيوس فانه صاحب النفوذ والسلطان ، قادر على كل شئ يبسط نفوذه على الآلهة والبشر على السواء .

وهكذا استطاع مؤلف الأوديسا الاستفادة من مصادر متعددة في الحصول على مادة ملحمة . فالأوديسا تتكون من أربعة عناصر : قصة العودة الى الوطن ، وقصة المغامرات في البحر ، وقصة حرب طروادة ، وفكرة العلاقة بين الآلهة والبشر .

بناء الإلياذة

ولا تقف براعة مؤلف الإلياذة والأوديسا عند حد الاستفادة من المصادر القديمة في جمع مادة ملحمتيه ، بل ان تلك البراعة لتظهر بوضوح في كيفية بناء كل من الإلياذة والأوديسا .

ففي الفصل الثالث والعشرين من كتاب فن الشعر يعبر أرسطو عن اعجابه الشديد بموضوع الإلياذة .
فمؤلف الإلياذة لم يتناول قصة حرب طروادة كاملة ، بل اختار حدثا واحدا من أحداثها ، وهو غضب أخيلئوس ونتائجه بالنسبة لموقف القسوات الاغريقية التي كانت تحارب ضد طروادة . لكن اختياره لهذه الحادثة بالذات لم يقلل من أهمية قصة الحرب الطروادية نفسها ، اذ جعل غضب أخيلئوس المحور الرئيسي الذي تدور حوله جميع الأحداث الرئيسية الأخرى . ويستغرق الحدث في الإلياذة مدة خمسين يوما . لكننا اذا ما استبعدنا من هذه

المدة بعض فترات لم ينشط فيها القتال مثل : الأيام التسعة التي انتشر فيها الوباء ، والاثنى عشر يوما التي تقضيها الآلهة في بلاد الأثيوبيين ، والاثنى عشر يوما التي يقضيها الاغريق في التنكيل بجثة هيكور - اذا ما استبعدنا هذه الفترات وبعض فترات قصيرة أخرى لا ينشط فيها القتال فلا يبقى سوى بضعة أيام فقط يروى خلالها مؤلف الالياذة أحداث حرب طروادة . وبالرغم من قصر المدة التي يستغرقها القتال ، فإن الشاعر قد نجح في اعطاء صورة رائعة لقصة حرب طروادة كاملة .

ولقد تحقق له ذلك بطريقتين . فالطريقة الأولى هي الحاق رواية النزاع الذي قام بين قادة الاغريق بمشاهد تفصيلية رائعة تصور الحرب الطروادية نفسها ، وخاصة تلك المشاهد التي تصور مشاعر الجنود وأحاسيسهم أثناء فترة القتال . فبهذه الطريقة يصور مؤلف الالياذة كيف استمرت الحرب تسعة أعوام متتالية ، وكيف أن الاغريق قد سئموا القتال وأصبحوا مشوقين لانتهاء الحرب وقرار السلام ، وكيف أنه قد أصبح على قادة الاغريق حينئذ أن يبتكروا وسائل جديدة تعيد الأمل الى نفوس الجنود وتلهب حماسهم وتدفعهم من جديد الى مواصلة القتال . ولقد أتاحت مثل هذه الوسائل للشاعر فرصة كي يضيف عناصر جديدة تساعد على بدء القتال من جديد . أما الطريقة الثانية فهي أن الشاعر يشير الى الأحداث الهامة قبل وقوعها في أماكن كثيرة من الملحمة . انه يفعل

ذلك بالنسبة لأخيليسوس وبالنسبة للشعب الطروادى
- وهما طرفا النزاع فى المأساة - عن طريق الشخصيات
المعنية الأخرى وليس عن طريق الرواية المباشرة . ففى
الأنشودة الرابعة - على سبيل المثال - يستنتج أجاممنون
- نتيجة لحيانة بنداروس - أن طروادة هالكة لا محالة .
كما أن نفس الاستنتاج يرد على لسان هيكتور فى الأنشودة
السادسة ، كما أن ديوميديس يؤكد أيضا فى الأنشودة
السابعة احتمال تدمير طروادة . أما النصف الأخير من
الملحمة فهو زاخر بالإشارات الى أن مصير هيكتور مرتبط
بمصير طروادة ، وأن هيكتور هالك لا محالة . كما أن
قارئ الإلياذة لابد وأنه سوف يلاحظ بسهولة أن
أخيليسوس واقع منذ الأنشودة الأولى تحت تهديد شبح
الموت ، بل أن القارئ سوف يلاحظ ذلك بسهولة أكثر
فى الأنشودة الثامنة عشرة ، والتاسعة عشرة ، والحادية
والعشرين ، والثانية والعشرين .

هكذا نجد أن مؤلف الإلياذة يركز كل اهتمامه على
بعض الشخصيات وينجح فى جذب انتباه الجمهور إليها
بل ويجعله يتابع بشغف عظيم ماسوف يحدث إليها .
ولقد حازت طريقة رسم تلك الشخصيات إعجاب أرسطو -
كما يبدو فى الفصل الرابع والعشرين من كتاب فن
الشعر ، كما أنها أصبحت فيما بعد أنموذجا يتبعه
المؤلفون فى جميع أنواع الشعر الإغريقى على حد سواء ،
بل وفى معظم الأعمال الأدبية فى العصور الحديثة .

بناء الأوديسا

أما بناء الأوديسا فهو يختلف عن بناء الإلياذة .
ففى الفصل الرابع والعشرين من كتاب فن الشعر يرى
أرسطو أن البساطة أساس للحدث فى الإلياذة والتعقيد
أساس للحدث فى الأوديسا . وربما يكون أرسطو قد
أصدر حكمه هذا بسبب الدور الهام الذى تلعبه عملية
التنكر وعملية التعرف فى الملحمة الثانية . وتشبه
الأوديسا الإلياذة من حيث الفترة القصيرة التى يستغرقها
الحدث ، فالحدث فى الأوديسا يستغرق أربعين يوما
فقط . لكن طريقة الربط بين أجزاء الحدث تختلف فى
كل منهما عن الأخرى . فغضب أخيلئوس فى الإلياذة هو
المحور الثابت المتين الذى تتجمع من حوله جميع عناصر
الحدث . فمسير كل من أخيلئوس وباتروكلوس وهيكٲور
مرتبط كل منهم بالآخر ارتباطا وثيقا ، حتى لئبدو وكأنهم
جميعا مصير فرد واحد متوقف بدوره على غضب
أخيلئوس : فغضب أخيلئوس يؤدى الى موت باتروكلوس

وموت باتروكلوس يؤدي الى موت هيكتور وموت هيكتور
ينذر بهلاك أخيليوس .

أما فى الأوديسا فطريقة الربط بين الأحداث تتصف
بمزيد من البساطة والسهولة ، وبالتالى فهى تحقق مزيدا
من التأثير عنها فى الإلياذة . فالرواية المتصلة فى الأوديسا
تنقطع وتنقسم إلى أجزاء ثم تعمل من جديد ثم تنقطع -
وهكذا دون أن يحس القارئ بوجود تفكك بين أجزاء
الحدث المتعددة . فأودوسيوس يروى لألكينوس ماقام به
من مغامرات منذ بداية رحلته حتى وصوله الى جزيرة
الساحرة كالوبسو ، وبهذه الوسيلة استطاع الشاعر أن
يجعل الرواية فى صيغة المتكلم . أما الأناشيد الأربعة
الأولى من الملحمة - وهى التى تدور حول تليماخوس -
فلها دورها فى بناء الملحمة ككل . فبالإضافة الى أنها
ترسم صورة واضحة لشخصية الطامعين ولشخصية
أودوسيوس ، فإنها تقف أيضا - عن طريق وصف ما يدور
فى إيثاكا - بمثابة إطار يعرض فيه الشاعر على جمهوره
لوحة رائعة للمغامرات التى يقوم بها أودوسيوس أثناء
الأجزاء الوسطى من الملحمة . كما أن وصف مايقوم به
أودوسيوس من مغامرات بعد عودته الى إيثاكا فى
الأنشودة الثالثة والعشرين إنما هو بمثابة قوس كبير
يحدد ماسبق أن صورته الشاعر من أحداث دارت فى
إيثاكا أثناء الأناشيد الأربع الأولى .

اللاحقة فن موضوعي

قبل أن نستعرض أحداث كل من الالياذة والأوديسا بشيء من التفصيل ، يجدر بنا أن نتعرف على مكانة مؤلف الملحمتين في المجتمع الذي عاش فيه ، وكيف كان لذلك أثره الواضح في صياغة الأحداث وطريقة عرضها .

لا بأس من أن نسلم بالرأى القائل بأن هوميروس منشد أو مؤلف الالياذة والأوديسا ربما عاش في القرن الثامن قبل الميلاد . وبالرغم من ضئالة معلوماتنا عن نظام المجتمع الاغريقي في ذلك الوقت ، فانه من الممكن القول بأن جمهور هوميروس لم يكن سوى النبلاء والأمراء والحكام والقواد العظام . لذلك كان على هوميروس أن يتناول سير الملوك والأمراء الذين ربما انحدر من سلالتهم جمهور مستمعيه . لكن لم يكن من الضروري أن يكون المنشد نفسه من أصل نبيل . فالالياذة والأوديسا تحتويان على وصف لما يمكن أن يكون عليه المنشد في ذلك الوقت . فلنا أن نتخيل هوميروس في نفس الصورة التي رسمها

هوميروس نفسه للمنشد فيميوس الذى عاش فى قصر
أودوسيوس فى ايثاكا ، والمنشد ديمودوكوس الذى عاش
فى قصر الكينوس فى قاييا . فهما ليسا من أصل
نبيل ، لكنهما فى نفس الوقت ليسا من العبيد ، انهما
يشغلان مركزا متوسطا بين الحرفيين مثل الأطباء والعرافين
والعاملين فى الغابات . انهما من الرجال الأحرار ،
جديران بالاحترام من أجل فنهما ، يعتمدان فى معيشتهما
اعتمادا كليا على ما يقدقه عليهما الأمراء من أموال وهدايا .
ولهذا السبب يشارك فيميوس الطامعين رغبتهم فى
الاستيلاء على أموال الزوج الغائب والانتفاع بها دون وجه
حق أثناء غيابه .

وليس ببعيد أن يكون هوميروس قد بدأ حياته الفنية
منشدا فى قصر من قصور النبلاء ، ولعل ذلك رأى يفسر
عدم اشارة هوميروس الى شخصه أو ابداء رأيه بطريقة
مباشرة فى الأحداث التى يتناولها . فان كان جمهوره من
النبلاء والأمراء الذين يرغبون فى الاستماع الى أمجاد
أجدادهم العظام ، فانهم لم يكونوا على استعداد لسماع
أى نقد أو تعليق أو حكم على ما قام به هؤلاء الأبطال من
أعمال وخاصة من شخص لا تصل مكانته الى مستوى
مكانة النبلاء أو الأمراء . ولعل ذلك هو الذى دفع
هوميروس الى التمسك بفن موضوعى بحث وجعله يخلق
من تقاليد موروثة معروفة تمام المعرفة ماضيا غريبا عرفه

هو نفسه أو تخيله . فلقد فعل ذلك فى حرية تامة ،
وهكذا نجده قد مزج الحاضر بالماضى فى براعة وعظمة
ودهاء ، فاحتفظ بهيبة الماضى ووقاره كما احتفظ أيضا
بجمال الحاضر وبهائه ، وبذا منح الالياذة والأوديسا طابعا
فريدا .

- - - - -

- - - - -

.

تأخير الأحداث الإلياذة

الأنشودة (١)

تبدأ الأنشودة الأولى بمناجاة ربة الشعر ، ثم سرعان ماتقودنا الى وصف النزاع بين أخيليوس وأجاممنون . ان أول كلمة تبدأ بها الإلياذة هي كلمة « مينيس » ومعناها « غضب » . ولعل ذلك يؤكد الموضوع الرئيسى للملحمة ويلفت النظر الى أهمية غضب أخيليوس . ويعود الشاعر بعد ذلك مباشرة الى سرد أسباب غضب أخيليوس ، انه نتيجة اهانة أجاممنون لكاهن أبوللون . ومن هنا تبدأ رواية متصلة . لقد أثار أجاممنون غضب أبوللون ، لأنه رفض إعادة كريسيس الى والدها ، فأصاب أبوللون الجيش الاغريقى بسهامه الفتاكة . لكن أجاممنون بعد ذلك يطيع ما أمر به العراف ، فيرد كريسيس الى والدها ، وفى مقابل ذلك يستولى على بريسيس محظية أخيليوس . عندئذ تتوالى أحداث مثيرة :

يدب النزاع بين القائدين الاغريقين اجاممنون واخيليوس،
تحاول الربة أثينة أن تهدىء من غضب أخيليوس ،
ينسحب أخيليوس ويرفض مواصلة القتال ، يستولى
اجاممنون على بريسيس ويقودها الى معسكره . يلجأ
أخيليوس الى والدته ، حورية الماء ثيتيس ، يستعطفها ،
ويطلب منها أن تسأل رب الأرباب زيوس أن ينتقم لابنها
أخيليوس . تعد ثيتيس ولدها بأن تفعل ذلك ، بعد أن
يعود الآلهة من بلاد الأثيوبيين حيث يقضون اثني عشر
يوماً فى احتفالات صاخبة مستمرة . وفى هذه الأثناء
يكون أودوسيوس قد أعاد كريسيس الى والدها ، الذى
يتوسل عندئذ الى الآلهة كي تكف غضبها عن الاغريق .
وتطلب ثيتيس من زيوس أن ينتقم لابنها ، فيوافق على
الفور . ويخفى زيوس موافقته عن جميع الآلهة ، حتى
عن زوجته هيرا ، رغم شكواها المريرة . عندئذ يترك
الشاعر الميدان لهيفايستوس ، اله الحديد والنار ، الاله
الأعرج القمى ، مثار ضحك جميع الآلهة ، فيشيع المرح من
جديد بين الآلهة المشتركين فى الاحتفال .

الأنشودة (٢)

فى هذه الأنشودة تتحقق مشيئة زيوس . وفى
بدايتها يأمر رب الأرباب اجاممنون أثناء نومه بمهاجمة
طروادة . ويصحو اجاممنون من نومه على الفور ، ويبلغ
قادة الاغريق بمشيئة زيوس ، ثم يناقشهم فى كيفية

تحقيقها . لقد مضى حتى الآن تسعة أعوام وهم فى قتال مستمر ، ومن الأفضل التعرف على أحاسيس الجنود وموقفهم من مواصلة الحرب . ويتظاهر أجاممنون برغبته فى انهاء الحرب والعودة الى وطنه ، فتلقى هذه الفكرة تأييدا كبيرا لدى جميع الجنود ، وهو ما لم يكن يتوقعه على الاطلاق . ويخيب أمل أجاممنون فى امكان مواصلة الحرب، لكن أودوسيوس ونستور يقومان بالتأثير على الجنود واقناعهم بضرورة مواصلة القتال ، ثم يجمعان القوات ويقومان بتنظيمها . وفى هذه الاثناء يتناول ثرسيتيس - أحد أفراد الطبقة العامة - على قادة الحملة ، فيلقى جزاءه ويضطر الى الصمت ، بعدما يلقاه من اهانة وتحقير من أودوسيوس . ان هوميروس فى هذه الفقرة يقدم وصفا رائعا لعملية تنظيم الجيوش واعدادها للمعركة ودعاء لربات الفنون كي يبرزن مدى ضخامة القوات الاغريقية وذلك فيما يعرف باسم « قائمة السفن » ومايتبعه من قائمة أصغر منها بالقوات الطروادية والقوات المتحالفة معها .

الأنشودة (٣)

بالرغم من كل هذه التجهيزات ، فان المعركة لم تبدأ بعد . بل تبرز فى هذه اللحظة فجأة حادثة تعطل حدوث الاشتباك . يعلن باريس استعدادده لحسم الموقف العسكرى عن طريق اشتراكه فى مبارزة فردية ضد

منيلاووس ، ويوافق الأخير ، وتعلن الهدنة المؤقتة .
عندئذ تتجلى ايريس - ربة النزاع - فى صورة آدمية
لهيلينا ، وتوجه اليها حديثا . فتنتطلق هيلينا نحو بوابة
سكاياء وتتسلق أسوار طروادة وتقف لمراقبة القسوات
الاغريقية المحاصرة للمدينة . هناك تقوم هيلينا بتعريف
برياموس - وبناء على طلبه - بالقادة واحدا بعد الآخر
وهى تشير ببناها الى كل منهم . ثم يستدعى برياموس
فيحلف اليمين ويعد بأن يلتزم بنتيجة المباراة بين باريس
ومنيلاووس . وتبدأ المباراة . يهوى منيلاووس بسيفه على
خوذة منافسه ، ثم يمسك بملاسه ، ويجره نحو صفوف
الاغريق . وهنا يصبح مصير باريس واضحا . لكن سرعان
ما تدخل الربة أفروديتا ، فتلقى من حوله بسحابة تحجب
عنه الأنظار ، وتحمله الى منزله سالما . ثم تظهر الربة فى
هيئة امرأة عجوز لهيلينا ، وتحرضها على الارتقاء فى
أحضان باريس . لقد خلق هوميروس موقفا يتميز
بالتناقض البارع : فبينما يلهو باريس مع هيلينا زوجة
منيلاووس ويطارحها الغرام على فراش وثير وفى عقر داره
يصول منيلاووس ويجول فى ميدان الوغى مثقلا بحلته
العسكرية يبحث عن باريس كى يقضى عليه . ولما لم تعثر
الجماهير على باريس ، فان أجاسمنون يعلن فوز أخيه
منيلاووس ويطالب برياموس باعادة هيلينا ، والاعتراف
بالهزيمة وانتهاء الحرب .

الأنشودة (٤)

قد يكون أجاممنون في المشهد الأخير من الأنشودة الثالثة جادا فيما قال ، لكن الآلهة لا تخضع لرغبات البشر . لذلك فإن زيوس يظهر الآن على رأس مجلس الآلهة فوق جبل الأولومبوس يناقش نتيجة المباراة . انه يقصد بذلك اثاره الربة هيرا والربة أثينة اللتين كانتا ترغبان في القضاء على طروادة ، دون أن نعلم السبب في ذلك . ويبدو تصميم زيوس واضحا على الوفاء بالوعد الذي قطعه على نفسه أمام ثيتيس ، ولكن تحت الحاح زوجته هيرا يوافق زيوس على اقتراح بأن تذهب أثينة الى معسكر الطرواديين وتوحي الى بنداروس بأن يصبوب سهامه نحو منيلاووس وبذلك يخرق الطرواديون الهدنة المؤقتة . ويسير كل شيء حسب رغبة الآلهة . فيصاب منيلاووس ، لكنه سرعان ما يشفى على يد ماخاؤون بن أسكليبيوس . ويصبح من الضروري أن يتجدد القتال . يوجه أجاممنون الى أبطال الاغريق عبارات هي مزيج من الاطراء والتوبيخ كي يثير حماسهم ونخوتهم . ان آخر شخص يوجه أجاممنون اليه الحديث هو ديوميديس ، الذي يتقبل كلمات القائد الثائر بصدر رحب رغم بذاءة تلك الكلمات وعنفها ، وهو في ذلك يختلف اختلافا تاما عن أخيليوس .

الأنشودة (٥)

ينطلق ديوميديس ويلقى بنفسه وسط المقاتلين . يصبوب بنداروس سهامه نحو ديوميديس ، لكنه لا يصيبه .

تشد أثينة من أزر بنداروس فيصول ويجول ويطلق سهامه هنا وهناك ، وهو لا يعي ان كان يوجهها نحو بشر أو اله .
يصيب بنداروس بسهامه عديدا من الشخصيات ، من بينهم الربة أفروديتا ، التي تصاب بجرح فى يدها أثناء محاولتها انقاذ ولدها آينياس ، وتهرع على أثر ذلك الى جبل الأولومبوس حيث تواسيها والدتها ديونى . بعد ذلك يتولى الاله أبوللون حماية آينياس ، لكن ديوميديس يستعد لمهاجمته ، لولا تحذير أبوللون الذى يرغمه على التراجع . أما آريس اله الحرب والسلاح فانه يقف بجانب الطرواديين ويبت فيهم الهمة والشجاعة فيحاربون فى ضراوة وعنف . وتنزل أيضا أثينة وهيرا الى ساحة القتال وتساهمان مساهمة فعالة ، لدرجة أن أثينة تتولى قيادة عجلة ديوميديس الحربية بدلا من سائقها الاغريقى . وبفضل معونة الآلهة يستطيع ديوميديس أن يصيب آريس بجرح بليغ ويجعله يهرع الى جبل الأولومبوس تاركا ميدان القتال . وفى المشهد الأخير من هذه الأنشودة تغادر هيرا وأثينة ميدان القتال .

الأنشودة (٦)

ينصح العراف هيلينوس هيكتور وآينياس بتجهيز القوات واعداد الجيوش وتوحيد الصفوف من جديد ، ثم ينصح هيكتور بالذهاب الى المدينة . ويذهب الأخير فيجد أهالى طروادة يقيمون الصلوات ويقدمون الأضاحى للآلهة

كى تهديء من غضب أثينة . فى أثناء ذلك يتقابل ديوميديس وجلاوكوس فى ساحة القتال ، ويتعرف كل منهما على الآخر . يتبادلان الأسلحة فيعطى ديوميديس الى صديقه « النحاس الأرجوسى » ، ويعطيه صديقه « الذهب اللوكى » . لقد أراد هوميروس بهذا اللقاء الرائع بين الخصمين الصديقين أن يصور روح الفروسية التى اتصف بها كل من الاغريق والطرواديين ، بل انه قد أراد أيضا أن يهدىء من سرعة الأحداث التى قام بوصفها فى الأنشودة الخامسة حتى يستطيع أن ينتقل بجمهوره من خارج أسوار طروادة الى داخل أسوارها لوصف مايدور هناك . ولقد كان لهوميروس ما أراد . فهيكتر الآن يهرع نحو والدته ، وعبثا تحاول نساء المدينة أن يشنن عزمه ويمنعنه من الذهاب الى ساحة القتال . ويبحث هيكتور عن باريس ، ليصاحبه الى هناك . ويبحث أيضا عن زوجته أندروماخى وابنه الصغير أستياناكس ، لكنه لا يجدهما داخل القصر . ويواصل بحثه عنهما ، وأخيرا يجدهما عند بوابة سكاييا ، حيث ذهبت أندروماخى تسيطر عليها المخاوف والهواجس . ويحدث اللقاء المثير بين البطل الطروادى وزوجته ، ويدور بينهما حديث مفعم بالحزن والآخر بالحزن . كما لو كان هيكتور يعلم تماما أنه لن يعود الى زوجته مرة أخرى . وتعود أندروماخى الى القصر بعد ذلك اللقاء ، وهى تبكى زوجها . كما لو كانت هى الأخرى تعلم علم اليقين أنه لن يعود اليها . ثم يتقابل هيكتور وباريس ويتجهان معا نحو ساحة القتال .

الأنشودة (٧)

وتبدأ المعركة من جديد • لكن أبوللون وأثينة
يتفكان على ضرورة وقف القتال • وينقلان رغبتهما - بطريقة
غير مباشرة - الى هيكتور عن طريق العراف هيلينوس ،
الذى ينصح هيكتور بأن يطلب مبارزة فردية مع واحد من
قادة الاغريق • ويعمل هيكتور بنصيحة العراف ، فيرسل
الى الاغريق من ينقل اليهم نبأ تحديه لواحد من قوادهم •
ويختار الاغريق القائد أياس التلامونى لينازل هيكتور •
ويلتقى الخصمان ، لكن قتالهما يتوقف عند قدوم الليل •
وفى صباح اليوم التالى يقرر الاغريق دفن قتلاهم واقامة
أسوار حول المناطق التى ترسو فيها سفنهم ، أما
الطرواديون فيطلبون من الاغريق تسليم جثث المقاتلين
الذين استشهدوا بين صفوف الاغريق ويعربون عن
استعدادهم لتقديم تعويضات مالية طالما أن باريس لم يقم
بإعادة هيلينا اليهم • لكن الاغريق يرفضون هذه المبادرة •
ورغم ذلك ، يجمع الطرواديون جثث قتلاهم فى اليوم
التالى ويحرقونها حسب العادة المتبعة دون أن يتعرض لهم
الاغريق ، اذ أنهم كانوا منهمكين فى اقامة أسوار لحماية
المنطقة الراسية فيها سفنهم •

الأنشودة (٨)

يطلب زيوس من الآلهة أن تشارك فى القتال ، بينما
يبقى هو فوق قمة جبل ايدا لمراقبة مايدور فى الميدان •

يبدأ القتال عند الفجر • وعند الظهر يزن زيوس أقدار كل من الطرفين المتحاربين ، فترجح كفة الطرواديين • ان يوميديس هو حجر الزاوية بالنسبة للقوات الاغريقية ، هيكتور فارس الميدان بين صفوف الطرواديين • لكن هيرا نبذل مجهودات ضخمة كي تفسد ما يدبره زوجها زيوس • تعرض بوسيدون على التدخل في القتال ، لكنه يرفض ، نبث القوة والعزم في صدر أجاممنون فينطلق على غير رغبة يوس ويخلص الجيوش الاغريقية من الحصار الذي ضربته حولها القوات الطروادية • وتواصل هيرا محاولتها ، لكن يريس تنقل اليها تصميم زبوس الأكيد على مساعدة لطروداديين • ويتجلى زيوس بطلعته المهيبة ليفصح عن تصميمه : سوف يتعرض الاغريق لمزيد من سخط الالهة ، سوف يتعرضون لمزيد من الكوارث ، وسوف يظل هيكتور فارس الميدان ، يصول ويجول دون أن يستطيع أحد أن وقف تقدمه • سوف يظل الأمر على تلك الحال حتى يهب خيليوس وينطلق وسط الميدان فيدافع عن السفن لاغريقية ويزمجر في غضب وعنف حول جثة باتروكلوس • ذلك هو قرار زيوس الأخير • ويحل الليل دون أن يحسم الموقف • ويلجأ هيكتور ورفاقه الى المعسكر الطروادى •

نشودة (٩)

وازاء تصميم زيوس ، يسيطر اليأس على أجاممنون
تيعرب عن رغبته في انتهاء القتال والرحيل ، وهو ماسبق

أن تظاهر به أمام الجنود أثناء الأنشودة الأولى . لكنه فى هذه المرة يلقي معارضة شديدة من ديوميديس . وينعقد مجلس القادة الاغريقى ، فيقترح نستور العجوز أن يتوجه مجموعة من القادة نحو معسكر أخيليوس ويدعوه للمشاركة فى القتال . ويعرب أجاممنون عن استعداده لتقديم الهدايا اللازمة للبعثة المتوجهة الى أخيليوس . وتكون البعثة من أودوسيوس وأياس وفوينيكس . يستقبل أخيليوس أفراد البعثة أحسن استقبال . انهم يحاولون استمالته . يتحدث أودوسيوس فى براعة وفصاحة ، ويطبع فوينيكس حديثه بطابع انسانى عاطفى ، أما أياس فيتحدث حديثا مقتضيا يغلب عليه الطابع العسكرى . وتحرك أحاديثهم مشاعر أخيليوس ، لكن غضبه لا يهدأ . مازال مصمما على عدم الاشتراك فى الحرب ، الا اذا هاجم هيكتور سفن أخيليوس ، فسيجد نفسه مضطرا للقتال . وتعود البعثة مكلفة بالفشل ، لكن ديوميديس ينصح الجميع أن يتصرفوا بالهدوء ويتجملوا بالصبر .

الأنشودة (١٠)

يخيم الهدوء على المعسكر الاغريقى . الجميع ينام ، ماعدا أجاممنون ومنيلاووس . يتجول كل منهما على حدة فى أنحاء المعسكر وقد استولى عليهما القلق . ويتقابل الشقيقان على غير موعد ، يتدبران الموقف ، ويتفقان على ارسال أودوسيوس وديوميديس للاستطلاع . لكن هيكتور

يكون فى نفس الوقت قد أرسل دولون للتجسس على
الاغريق ، بعد أن يعده بأسلحة أخيليوس ان هو قام بمهمته
خير قيام • ويقع دولون فى قبضة أودوسيوس وديوميديس
ويعرفان منه كل ما عرفه عن خطط الطرواديين ، ثم
يطلقان سراحه • يعلمان بمجىء امدادات ريسوس واثنى
عشر من أعوانه ويستوليان على مامعهم من خيول من النوع
الممتاز الذى اشتهرت تراقيا بتربيته •

الأنشودة (١١)

فى اليوم التالى يبدأ القتال • ويستمر وصفه من
الأنشودة الحادية عشرة الى الثامنة عشرة • يتحدث
هوميروس عن قوة أجاممنون واقدامه ، ويسهب فى وصف
براعته العسكرية لدرجة تجعل الجمهور يتوقع فشل خطة
رب الأرباب أو تنازله عن تصميمه • لكن خطة رب الأرباب
لا تفشل وتصميمه واجب التنفيذ • انه يرسل ايريس
الى هيكتور كى تنصحه بالابتعاد عن الميدان أينما وجد
أجاممنون ، وتأمره بأن ينتظر قليلا حتى يصاب أجاممنون
بنيترك الميدان لهيكتور • وقد كان ما وعد به زيوس •
أصيب أجاممنون وترك ساحة القتال ، وصال هيكتور فى
الساحة وجال • عندئذ يتدخل أودوسيوس وديوميديس
فيحدثان بعض التوازن بين الطرفين • لكن سرعان ما يصاب
ديوميديس ، فيصبح أودوسيوس وحيدا يشعر بالمرارة
وخاصة بعد أن ترك أيضا ساحة القتال • ويحمل

نستور ماخاؤون جريحا فوق عجلته الحربية . فى أثناء ذلك كان أخيليوس يراقب القتال من أعلى مقدمة سفينته الضخمة ، وكان مشوقا لمعرفة شخصية ذلك الشخص الذى يحملة نستور . ويرسل صديقه باتروكلوس الى نستور لمعرفة ذلك . ينتهز نستور العجوز الفرصة فيحاول أن يقنعه بضرورة التدخل والتأثير على صديقه أخيليوس كى ينضم الى صفوف الاغريق أو يعير أسلحته وحلته العسكرية لصديقه باتروكلوس فينزل الى الميدان فيثير الرعب فى نفوس الاغريق . ويبدو أن باتروكلوس قد تأثر بحديث نستور ، لكنه لا يعده بشيء . لكن أثناء عودته الى معسكر صديقه أخيليوس يقابل يوروبولوس جريحا فيخف لنجدته ، فيشرح له الجريح مدى مايقاسيه الاغريق من أهوال على يد الطرواديين .

الأنشودة (١٢)

تبدأ هذه الأنشودة بوصف جزء آخر من المعركة العظيمة ، ويستمر هذا الوصف حتى نهاية الأنشودة الخامسة عشرة . يقاتل الاغريق باستماتة دفاعا عن الأسوار التى أقاموها حول المنطقة الراسية فيها سفنهم . ولعل من الجدير ملاحظة أن هوميروس لم يصف لنا كيف تقهقرت الجيوش الاغريقية من أسوار طروادة الى الأسوار التى أقامها الاغريق على الشاطئ البعيد . لكن لا بأس من الافتراض بأن ذلك قد حدث أثناء حديث هوميروس

عن باتروكلوس ومقابلته لنستور ومساعدته ليوروبولوس .
كما أننا سوف نعلم عند نهاية الأنشودة الخامسة عشرة
بأن هيكتور على وشك أن يحرق السفن الاغريقية . فاذا
ما عدنا الى أحداث الأنشودة الثانية عشرة رأينا الاغريق
يتقهقرون الى سفنهم والطرواديين يحاولون اقتحام الأسوار
المحيطة بالمنطقة . اقترح هيكتور فى بادئ الأمر على
الطرواديين أن يندفعوا نحو تلك الأسوار بعجلاتهم الحربية
لكن بولوداماس عارض اقتراحه، واقترح هو بدوره على
الطرواديين أن يتركوا عجلاتهم الحربية عند حافة الخندق
المحيط بالأسوار . وهذه هي المرة الأولى التى يظهر فيها
بولوداماس مستشارا عسكريا لهيكتور ، وسوف يظل
يقوم بهذا الدور حتى نهاية الأنشودة الثامنة عشرة .
ويفشل الطرواديون فى أول الأمر فى تنفيذ عملية
الاقتحام ، فينصحهم بولوداماس بالانسحاب . لكن
هيكتور يأمر بمواصلة عملية الهجوم والاقتحام ، فينجح
ساربيدون فى اقتحام جزء من تلك الأسوار ويستطيع
هيكتور أن يحطم جزءا من إحدى بواباتها .

الأنشودة (١٣)

بالرغم من تصميم زيوس الأكيد وأوامره المشددة
بعدم تقديم أية مساعدة للاغريق ، فإن الآلهة لم تستطع
على ذلك صبرا . عندئذ يظهر بوسيدون فى هيئة العراف
الاغريقى كالحاس ويلهب مشاعر الاغريق بالعبارات
الحماسية . ثم يظهر أيضا فى صورة رجل عجوز يدعى

ثوأس ، لكنه يشعر بالأسى الشديد عندما يشاهد بعينيه
حفيدة أمفيماموس وهو يلقي مصرعه على يد هيكتور .
وتبدأ كفة الاغريق في الرجحان عندما يشترك ايدومينيوس
ملك كريت في القتال . لكن بولوداماس ينصح بضرورة
جمع شتات الطرواديين ، ويرى أن أخيليوس لن يظل
بعيدا عن ساحة القتال أكثر من ذلك . ويدعن هيكتور
لنصيحة بولوداماس فيجمع شمل القوات الطروادية ،
لكنه في نفس الوقت يستبعد احتمال عودة أخيليوس الى
الميدان والاشتراك مع الجيوش الاغريقية .

الأنشودة (١٤)

يترك نستور ماخاؤون الجريح ، ويخرج ليستطلع
أنباء القتال . يقابل ديوميديس وأودوسيوس وأجاممنون ،
الجميع عائدون جرحى من ميدان القتال . يتحدث
أجاممنون للمرة الثالثة عن رغبته في الانسحاب ، لكنه
يقترح في هذه المرة أن يكون انسحاب الجيوش الاغريقية
تحت جناح الظلام . لكن أودوسيوس وديوميديس
لايوافقانه على ذلك . وينبرى بوسيدون مرة أخرى يبعث
العزم من جديد في قلب أجاممنون ، ويشجع بنبراته القوية
جنود الاغريق . لكن كيد النساء يبرز بين صفوف
الرجال : تستعير هيراصولجان أفروديتاوتبعث عن طريقه
الشوق في قلب زوجها زيوس ، فتجرفه النشوة ويغلبه
النعاس . وسرعان ما يسرع هوبينوس « النوم » الى
بوسيدون ليخبره بأنه أصبح قادرا على مد يد العون الى

الاغريق أثناء نوم زيوس . وترجح كفة الاغريق ، فيهوى
أياس بحجر ضخيم فوق رأس هيكتور ، فيخر الأخير فاقد
النطق . ثم تتوالى الكوارث والنكبات على الطرواديين .

الأنشودة (١٥)

لكن سرعان ما يصحو زيوس من غفلته ، ويكتشف
كيف أوقعت به زوجته الماكرة . ويبداً زيوس في تنفيذ
مشيئته ، وتعلم هيرا بما ينوى زيوس أن يفعله . سوف
يرسل زيوس ربة النزاع ايريس لتستدعى بوسيدون من
ساحة الحرب ، وسوف يرسل أبوللون أيضاً ليشد من
أزر هيكتور . لكن هيرا تطرب لذلك ، اذ أنها تعرف نتيجة
ما هو مقدم عليه رب الأرباب : سوف يطارد الطرواديون
الاغريق حتى يضطروا الى العودة الى سفنهم ، عندئذ سوف
يرسل أخيليوس باتروكلوس ليشارك في القتال نيابة
عنه ، وسوف يحرز باتروكلوس انتصارات عديدة ، لكنه
في النهاية سوف يلقي مصرعه على يد هيكتور ، وسوف
يقتل أخيليوس هيكتور انتقاماً لموت صديقه باتروكلوس .
عندئذ سوف يتقرر مصير طروادة . ففي النهاية سوف يتم
تدميرها بواسطة حيلة من حيل أثينة (أى بواسطة الحصان
الخشبي) . كانت هذه هي رغبات زيوس ، وبالتالي فان
هيرا تسارع بإبلاغها لآلهة الأولومبوس . وتتقدم أثينة
لتمنع آريس من التدخل في القتال . ويضطر بوسيدون
رغم أنفه للاذعان لأوامر زيوس التي تنقلها له ايريس .

وأثناء ذلك يكون هيكتور مستمرا في مطاردة القوات
الآغريقية في عزم وتصميم ، ويرغمهم في النهاية على
التقهقر نحو معسكرهم . عندئذ يخبرنا هوميروس أن
أبوللون يدمر الخنادق بنفسه ويحطم الأسوار ، فيثير
الرعب في نفوس الآغريق . وعندما يقتحم الطرواديون
المعسكر الآغريقي ، يفر باتروكلوس تاركا يوروبولوس
الجريح ، ويذهب إلى أخيليوس . وتواصل القوات
الطروادية تقدمها ، وتنهار مقاومة الآغريق ، ويقذف
الطرواديون السفن الآغريقية بالنيران . لكن أياص
اللاموني هو الذي يظل وحده صامدا في وجه
الطرواديين .

الأنشودة (١٦)

يتوسل باتروكلوس إلى أخيليوس ، دون جدوى ،
أن أخيليوس لن ينسى الإهانات التي لحقت به على يد
الآغريق . لكنه يوافق في النهاية أن يعير حلة العسكرية
وأسلحته لصديقه ويسمح له بالخروج على رأس قواته
(قوات أخيليوس) للاشتراك مع باقي الجيوش الآغريقية .
ويطلب أخيليوس من صديقه أن يطارد الطرواديين حتى
يبعدهم عن المناطق الراسية فيها السفن ، لكن ينهزم أن
يذهب إلى أبعد من ذلك ، أو أن يتحدى واحدا من الآلهة
الذين يمدون يد العون إلى الطرواديين . يستحث أخيليوس
صديقه كي يسرع في تحركاته حتى لا تنهار مقاومة أياص
- كما رأينا في نهاية الأنشودة السابقة - ويتوسل إلى

زيوس أن يعيد اليه صديقه سالما غانما . وينطلق
باتروكلوس من فوره نحو ميدان القتال ، وتتقهقر قوات
الطرواديين أمامه وقد أصابهم الفزع والذعر . يلقي
ساربيدون - ابن رب الأرباب - مصرعه على يد
باتروكلوس . وتدور معركة ضارية حول جثته ، فيسمع
زيوس لأبوللون أن يدافع عنها ، ثم يصدر أوامره لاله
الموت واله النوم أن ينقلها الى لوكيا بعيدا عن ميدان
القتال . وفي غمرة الانتصار والحماس ينسى باتروكلوس
تحذير صديقه أخيليوس ، فينطلق خلف القوات الطروادية
حتى يصل الى أسوار طروادة . لكن أبوللون يتصدى
له ، ويلهب حماسه ، ويحرضه على مواصلة القتال وهو
في هيئة آدمى يدعى آسيوس ، وما أن تميل الشمس نحو
المغرب حتى يتجلى أبوللون نفسه ويقف خلف باتروكلوس ،
ثم يطعنه طعنة قاتلة بين كتفيه وخلف الرقبة . ثم يصيبه
يوفوربوس أيضا من الخلف ، ويجهز عليه هيكتور
بحرسته .

الأنشودة (١٧)

وما أن يهوى باتروكلوس حتى تدور معركة ضارية
حول جثته . يقتل منيلاووس يوفوربوس ، لكنه يتقهقر
أمام هيكتور ، الذي ينتزع أسلحة أخيليوس التي كان
قد أعارها لباتروكلوس ويأخذها لنفسه . ويستमित
الاغريق في الدفاع عن جثة باتروكلوس ، وذلك تحت

قيادة أياس . فجأة يلف الظلام ساحة الوغى ، ويسيطر
الحزن على خيول أخيليوس لمصرع باتروكلوس . لكن
أثينة وأبوللون يزيدان من ضراوة القتال حول جثة
باتروكلوس . ونتيجة لتوسلات أياس يزيع ريوس الظلام
ويضىء المكان . يستطيع منيلاووس ان يتوصل الى
أنتيلوخوس بن نستور العجوز فيرسله الى أخيليوس
لينقل اليه أنباء هزيمة الاغريق ومصرع باتروكلوس .
وتظل كفة الطرواديين راجحة ، ورغم ذلك يستطيع
منيلاووس ومريونيس أن يسحبا جثة باتروكلوس بعيدا ،
بينما يحمى أياس ظهريهما أثناء الانسحاب .

الأنشودة (١٨)

يسيطر الحزن على أخيليوس عندما يسمع نبأ مصرع
رفيقه باتروكلوس ، تخف والدته ثيتيس تصاحبها
حوريات الماء الأخريات لمواساته . تعده والدته أن تمده
بأسلحة أخرى وبجولة عسكرية أخرى غير التى استولى
عليها هيكتور ، ثم تنبؤه بأن موت هيكتور سوف يتبع
مباشرة موت باتروكلوس . يصرخ أخيليوس صرخة ينتشر
صداها فى الأفق العريض فيفزع لها الطرواديون عن
آخرهم ، لكن هيرا تأمر الشمس بأن تغيب ، ويتوقف
القتال على أن يستأنف فى صباح اليوم التالى . يكرر
بولوداماس تحذيره للطرواديين ، لكن هيكتور يتجاهل

ذلك التحذير ويبدأ فى جمع شتات قواته استعدادا لقتال الصباح . يقضى أخيليوس ساعات طويلة من الليل يبكى رفيقه ، بينما يقضى هيفا يستوس ساعات من الليل أيضا فى صنع أسلحة جديدة لأخيليوس ، بناء على طلب والدته ثيتيس ، - وخاصة ذلك الدرع الرائع الذى أسهب هوميروس فى وصف ما نقش عليه من مناظر طبيعية ومشاهد منقولة من الحياة .

الأنشودة (١٩)

ومع قدوم الفجر تحضر ثيتيس الأسلحة الجديدة الى ابنها أخيليوس ، وتصب سائل الأمبروسيا على جثة باتروكلوس لتحفظها من التعفن . يستدعى أخيليوس المجلس العسكرى الأعلى للاغريق ، ويعلن أنه قد تخلص الآن من غضبه وأنه مستعد للقتال ويتحدث أجا ممنون فيشكو من زيوس الذى أوحى اليه بارتكاب كل تلك الحماقات التى كادت تؤدى بالجيش الاغريقى الى الدمار . ويعيد أجاممنون بأنه سوف يعوض أخيليوس ما سلبه ، ويؤكد له أنه لم يقرب بريسييس . ثم ينهض أخيليوس من فوره ، ويتسلح بأسلحته الجديدة ، ويأخذ فى تنظيم الصفوف وترتيب الجيش . ويخرج على رأس لجيوش الاغريقية الى ساحة القتال بينما تنطق خيوله بعبارات مؤداها أن أخيليوس هالك لا محالة وان ساعة علاكه قد أصبحت وشيكة .

الأنشودة (٢٠)

فى هذه الأنشودة يصف هوميروس معركة من أشد المعارك التى يصفها فى الألياذة بأكملها . ففى هذه المعركة ترك زيوس للآلهة الحبل على الفارب ، ومنحهم حرية كاملة فى التصرف ، وسمح لكل منهم أن يشترك فى القتال بالقدر الذى يروق له . ان زيوس نفسه يثير العواصف والأعاصير ، ويوسيدون يبعث بالزلازل ، لكنهما لا يشتركان اشتراكا فعليا فى القتال . وينقذ بوسيدون آينياس ، كما ينقذ أبوللون هيكتور ، أما أخيليوس فإنه فارس الميدان الأوحده ، ينثر الموت والدمار حيثما سار .

الأنشودة (٢١)

يدور القتال فى ضراوة وعنفة بجوار نهر سكامندر . لقد ملأ أخيليوس مجرى النهر بالجثث ، وقبض على اثنى عشر شابا وأمر بأن يقدموا أضاحى حول جثة باتروكلوس . يتوسل لوكاؤون بن برياموس اليه كي يعفو عنه ، لكنه يصصره ويلقى بجثته أيضا فى النهر . ويشكو النهر من كثرة الجثث التى القيت فى مجراه ، لكن أخيليوس لا يأبه بشكواه ، فيهدد النهر بفيضان جارف . وينفذ النهر تهديده ، ويفيض على الجانبين . عندئذ يتدخل بعض الآلهة : يطلق هيفا يستوس نيرانه على المياه الجارفة المنطلقة على الأراضى المحيطة فيجففها ويهزم النهر وتعود مياهه الى مجراها الطبيعى . أما باقى

الآلهة فكل يحارب بطريقته الخاصة : تصيب أثينة آريس بحجر ضخمة ، بينما يرفض أبوللون أن يقاتل بوسيدون من أجل البشر . والآن يعود جميع الآلهة الى قمة الأولومبوس . ويتصدى أجينور لأخيليوس عند البوابة لكن أبوللون ينقذ أجينور من إراثن البطل الاغريقى ، ويتقمص شخصيته ثم يحاور أخيليوس ويضله حتى يتمكن الطرواديون من التقهقر الى داخل أسوار طروادة .

الأنشودة (٢٢)

لكن هيكتور يظل خارج أسوار المدينة ، رغم توسلات والدته هيكوبى ووالده برياموس . انه يتذكر الآن تحذير بولوداماس من احتمال عودة أخيليوس الى ساحة القتال . ويعتقد أنه مسئول عن طروادة بأكملها ، فيصول ويجول خارج الأسوار . يتقدم أخيليوس نحوه ، لكن هيكتور يهرب منه ثلاث مرات حول أسوار طروادة . فى ذلك الوقت يتخلى أبوللون عن أخيليوس ، لكن أثينة تعرقل هروب هيكتور بأن تظهر له فى هيئة ديفوبوس - شقيق هيكتور - وتعهده بالمساعدة . وبذلك يستطيع أخيليوس أن يلحق به . ويتوسل هيكتور اليه أن يعيد جثته الى أهله ان هو تغلب عليه . لكن أخيليوس يصرعه ويربط جثته فى عجلته الحربية ويسحبها من خلفه ، ويذهب بها نحو السفن الاغريقية . وتنتهى الأنشودة ببكاء برياموس وهيكوبى وأندروماخى .

الأنشودة (٢٣)

مع بداية هذه الأنشودة يلاحظ القارىء وجود جشتين
تنتظران مراسم الدفن : جثة باتروكلوس وجثة هيكتور .
يحتفل الاغريق بدفن جثة باتروكلوس : يطوفون حولها
ثلاث مرات ، ثم يقومون بمراسم الجنازة المعتادة . لكن
شبح باتروكلوس يظهر لأخيليوس ويطلب منه الاسراع
فى احراق الجثة . وفى صباح اليوم التالى يعد مكان
للحرق ، ونيس وقود النيران سوى طرواديين أحياء من
بينهم الاثنا عشر شابا الذين قبض عليهم أخيليوس قبل
أن يصرع هيكتور . وفى صباح اليوم التالى لعملية الحرق
يجمع الرماد المتبقى من جثة باتروكلوس ، وتقام حوله
الالعاب والمباريات الرياضية حسب التقاليد الاغريقية .
ويقوم أخيليوس بدور كبير فى تنظيم تلك المباريات ، وفى
الحكم على المتبارين ، وفى توزيع الجوائز على الفائزين .

الأنشودة (٢٤)

رغم كل ذلك فان حزن أخيليوس من أجل موت
رفيقه باتروكلوس يزداد يوما بعد يوم ، ثم غالبا ما كان
يتحول ذلك الحزن الى سخط شديد فينهض أخيليوس من
فوره ويربط جثة هيكتور خلف عجلته الحربية ويسحبها
حول قبر رفيقه الراحل . حتى كان اليوم الثانى عشر
منذ مقتل هيكتور ، حين تدخلت الآلهة كعادتها . وفى
هذا المكان من الالياذة يفصح هوميروس عن أسباب غضب

هيرا وأثينا من الطرواديين : انه الحكم الذى أصدره باريس
ضسدهما والتفاحة الذهبية التى منحها لافروديتا . ثم
يواصل هوميروس روايته مرة أخرى . حاولت بعض
الآلهة أن تضع حدا لغضب أخيليوس وانتقامه . فذهبت
حورية البحر ثيتيس الى ولدها أخيليوس تطلب منه إعادة
جثة هيكتور الى والده . وفى نفس الوقت ذهبت ايريس
الى برياموس وطلبت منه أن يتوجه الى معسكر أخيليوس .
وتحت جنح الليل خرج الملك العجوز برياموس من طروادة
وهو يحمل الهدايا لمن قتل ابنه الأكبر هيكتور . وعندما
يرى أخيليوس برياموس العجوز يتذكر الأول والده الذى
تركه خلفه قبل أن يرحل مع الحملة الاغريقية . ويستولى
عليهما البكاء ، وينسى كل منهما همومه ويتخلص من غضبه .
ويعود برياموس الى طروادة ومعه جثة هيكتور . ويتم
الاتفاق على وقف القتال لمدة اثنى عشر يوما ليستطيع كل
من الفريقين دفن القتلى . ثم ينتقل المنظر الى طروادة
حيث تبكى هيكوبى وأندروماخى وهيلينا بكاء مرا حول
جثة هيكتور . ويظل الطرواديون تسعة أيام يجمعون
الحطب والأخشاب ، ثم يقيمون بعد ذلك محرقة ضخمة .
ويتم حرق جثة هيكتور قبل انقضاء فترة وقف القتال .

تلخيص لأحداث الأوديسا

الأنشودة (١)

مع بداية الأنشودة الأولى يكون أوديسيوس قد وصل الى جزيرة كالوبسو ، وهي أقصى بقعة من بقاع العالم يصل اليها أثناء تجواله الطويل . فلقد ظل بوسيدون يضع العراقيل في طريق البطل العائد . ومع بداية الأنشودة الأولى أيضا يكون بوسيدون قد ذهب الى أرض الأثيوبيين ، بينما يكون الآلهة - من ناحية أخرى - مجتمعين في قصر زيوس الواقع فوق قمة الأولومبوس . وأثناء الاجتماع يندد زيوس بالجرائم التي يرتكبها البشر ، ولعله يقصد بذلك الإشارة الى انتقام أورستيس لوالده أجاممنون من والدته كلوتمنسترا وعشيقتها أيجيسثوس . ولعل المقصود بالإشارة الى انتقام أورستيس في هذا الموقف بالذات هو وضع أورستيس في مقارئة مع تليماخوس بن أوديسيوس ، بل ان هوميروس قد فعل ذلك ليس فقط في الأنشودة الأولى بل وفي الأنشودتين الثالثة والرابعة أيضا . وتحاول

أثينة اقناع زيوس بضرورة مساعدة أودوسيوس على العودة الى وطنه سالما . ويوافق زيوس . أنه سوف يرسل الاله هرميس لاقناع كالويسو بضرورة اطلاق سراح أودوسيوس أما أثينة نفسها فتتجه نحو ايثاكا . وعندما تصل الى هناك تتقمص شخصية آدمي يدعى منتيس . وتقابل الربة تليماخوس ، ويدور الحديث بينهما حول موقف الابن من أعداء والده والطامعين في والدته : ان والده غائب عن المدينة ، والطامعون يمرحون في القصر لا يأبهون به ولا يحافظون على كرامته أو سمعته . وتنصح أثينة أن يجمع أهل ايثاكا ويطالبهم بأن يساعدوه في ايجاد حل لهذه المشكلة ، وأن يذهب بعد ذلك الى أحد أصدقاء والده ليسأله عنه . وعندما ترحل أثينة يكشف تليماخوس أنه انما كان يتحدث مع الهة . ويبدو بعد ذلك من حديثه مع والدته ومع الطامعين أنه قد أصبح يواجه الأمور بذهن متفتح وعقل أكثر نضجا من ذي قبل .

الأنشودة (٢)

في اليوم التالي يعرض تليماخوس الأمر على أهالي ايثاكا وعلى الطامعين . ويدور نقاش بينه وبين كل من أنتينوس ويورووماخوس ، اذ أن الأخير يستخف بالنصيحة التي قدمتها اليه أثينة (تماما كما يستخف أيجيستوس بالنصيحة التي يقدمها اليه أبوللون على لسان كاساندراس) . ويبدو في هذه اللحظة بوضوح أن الطامعين هم المسيطرون

على مقاليد الأمور في ايثاكا . ويرفض الجميع معاونته في الحصول على سفينة يستخدمها في البحث عن والده ، كما أن ليوكريتوس يفض الاجتماع في كبرياء وعجرفة . وبالرغم من كل ذلك تصمم أثينة على مساعدة تليماخوس ، فتتقمص شخصية آدمي يدعى منتور ، وتصطحب الابن التمس الى احدى السفن الراسية على الشاطئ ، وتساعده ، على الابحار أثناء الليل .

الأنشودة (٣)

وتصل السفينة الى شواطئ يولوس ، فيجد تليماخوس ورفاقه الملك نستور يقدم القرابين للاله بوسيدون . يرحب الملك بتليماخوس ويروي عليه ما يعرفه من أخبار بعض القادة الاغريق الذين اشتركوا في حرب طروادة ، لكنه يخبره بأنه لا يعرف شيئا عن والده أودوسيوس . فتغادر أثينة المكان أثناء الليل مرفرفة بجناحيها على هيئة نسر ، ويرحل تليماخوس في صباح اليوم التالي بمصاحبة بيسستراتوس بن نستور فيصلان الى اسبرطة في اليوم التالي .

الأنشودة (٤)

وعندما يصل الجميع الى اسبرطة يجدون منيلاوس ملك اسبرطة منهما في الاحتفال بزواج ابنته وابنته . ويروي منيلاوس وهيلينا على تليماخوس ما قام به

أودوسيوس من أعمال رائعة أمام أسوار طروادة وما أنجزه من معجزات داخل المدينة أيضا . ويسأل الولد عن مصير والده ، فيروي عليه منيلاووس ما تعرض له من أهوال أثناء عودته الى وطنه . ويخبره أنه أثناء تجواله قابل بروتئوس العجوز الذي أنبأ بموت أياص ومصرع أجاممنون ، والذي أخبره أيضا أن أودوسيوس يقيم الآن في جزيرة كالوبسو . وتقام مأدبة ضخمة لتليماخوس في أسبرطة . وفي نفس الوقت ينتقل المنظر الى ايثاكا فيعرف الجمهور أن الطامعين يضعون خطة لقتل تليماخوس فور عودته الى ايثاكا . وتعلم بنيلوبي زوجة أودوسيوس بما يدبره الطامعون ، وتشعر بهم وقلق ، لكن أثينة تزورها في نومها وتطمئنها على ولدها .

الأنشودة (٥)

ينعقد مجلس الآلهة مرة أخرى ، وتعرب أثينة عن غضبها لما يلاقيه أودوسيوس من متاعب وأهوال . عندئذ يبدأ زيوس في الاهتمام بموضوع أودوسيوس بصورة جدية . فيفي بوعده الذي كان قد قطعه على نفسه قبل ذلك : فيرسل هرميس الى كالوبسو ليخبرها بأن زيوس يأمرها بأن تسمح لأودوسيوس بالرحيل . وتنفذ كالوبسو على الفور أوامر رب الأرباب ، فتخبر أودوسيوس بأن له الحرية الآن في الرحيل أو البقاء ، وتطلب منه ان يرغب في الرحيل . أن يجهز سفينة يستخدمها في العودة الى

وطنه . ويسرع أودوسيوس في تجهيز السفينة ، ويخرج بها في عرض البحر . وبعد مسيرة ثمانية عشر يوما يلمح بوسيدون - أثناء عودته من بلاد الأثيوبيين - أودوسيوس وهو يمر يسفينته بالقرب من منطقة سخيريا . ويسيطر الغضب على بوسيدون ، فيبعث بالموجة تلو الموجة ويدفع بطوفان عال يقلب السفينة بمن فيها . لكن أودوسيوس ينجو بأعجوبة من بين حطام السفينة ، ويصل بعد ثلاثة أيام الى شاطئ سخيريا حيث يغط في نوم عميق .

الأنشودة (٦)

تنطلق أثينة تحت جناح الظلام ، وتزور ناوسيكاً أثناء نومها ، وتنصحها أن تذهب الى الشاطئ مع صاحباتها ليفسلن ملابسهن . وتفعل ناوسيكاً ما تأمرها به أثينة ، فتذهب الى تلك المنطقة من الشاطئ حيث ينام أودوسيوس . وفجأة يصحو أودوسيوس من نومه ، فتهرب الفتيات . لكن ناوسيكاً تظل بجانبه ، تساعد على أن يغتسل ويغسل ملابسه ، ثم تصطحبه الى أجمة أثينة المقدسة الواقعة خارج المدينة .

الأنشودة (٧)

يتقدم أودوسيوس نحو المدينة ، تظله سحابة أطلقتها أثينة من حوله حتى لا يراه أحد . ويخترق البطل شوارع المدينة حتى يصل الى قصر الملك ألكينوس

والد ناوسيكاً • يركع أودوسيوس - دون أن يراه أحد -
عند قلعي الملكة أريتي ، ويلمس ركبتها • عندئذ تنقشع
السحابة من حوله فيكتشف الملك وجوده ، ويرحب به
دون أن يسأله عن اسمه أو موطنه • بعد ذلك تحاول الملكة
أن تعرف شيئاً عن حياته ، فيروي لها ما تعرض له من
أهوال في البحر دون أن يفصح لها عن شخصيته • ويرق
قلب الملك ، فيعده بمساعدته على العودة إلى وطنه •

الأنشودة (٨)

ويتأخر رحيل أودوسيوس • إذ يعرض عليه الملك
الكينوس أن يحضر الحفل الذي سوف يقيمه الملك، والذي
سوف ينشد فيه منشد القصر ديمودوكوس أناشيد تدور
حول مغامرات أخيليوس وأودوسيوس • ويبدأ الحفل ،
ويتصدر أودوسيوس الضيوف ، ثم يبدأ ديمودوكوس في
الأنشاد • انه ينشد قصة الغرام الذي نشأ بين آريس
وأفروديتا ، ثم ينشد قصة الحصان الخشبي • عندئذ يبكي
أودوسيوس ويصبح غير قادر على إخفاء انفعالاته ، فيسأله
الكينوس من يكون ، ومن أين جاء ، ولماذا يبكي هذا البكاء
المر •

الأنشودة (٩)

يكشف أودوسيوس عن حقيقة أمره ويفصح عن
شخصيته ، ثم يروي قصته كلمة : بعد سقوط طروادة
دمر أودوسيوس إيسماروس ، لكن كان عليه أن يفر هارباً

من هجمات الكيكونيس . وتضطرب عاصفة شديدة الى
الاتجاه نحو الشاطئ والمكوث هناك لمدة يومين . ثم يحاول
أودوسيوس ورفاقه بعد ذلك الطواف بماليا . لكن تهب
عاصفة من الشمال فتشتت أسطولهم وتطاردهم لمدة تسعة
أيام كاملة فوق سطح البحر . وفى اليوم العاشر تقذف
بهم الأمواج نحو الشاطئ حيث يقابلون جماعة من آكل
نبات اللوتس . ويأكل رفاق أودوسيوس بعض هذه
النباتات فتجعلهم ينسون أوطانهم ويرفضون مغادرة
المنطقة . لكن أودوسيوس بعقله الذكى يعيد اليهم ذاكرتهم .
ومن ثم يغادرون تلك البقعة فتقذف بهم الأمواج الى جزيرة
يسكنها جماعة من المردة يعرفون بالكوكلوبيس . ويقع
أودوسيوس ورفاقه فى قبضة أحد هؤلاء المردة - ويدعى
بولوفيموس - فيلتهم عددا كبيرا منهم . لكن أودوسيوس
ينجو من الهلاك بفضل دهائه وسرعة بديهته بعد أن يفقأ
عين المارد الوحيدة الكائنة فى مقدمة رأسه ، فيثور المارد
ويصرخ طالبا من والده بوسيدون أن ينزل غضبه على
أودوسيوس .

الأنشودة (١٠)

عندما يغادر أودوسيوس جزيرة الكوكلوبيس ،
يرسل أيولوس ريحا مواتية تدفع سفينة أودوسيوس
ورفاقه الباقيين فى هدوء وسلام نحو ايثاكا . لقد أعطى
الاله أيولوس الى أودوسيوس حقيبة ، وعظوه من أن يفتحها
أحد قبل الوصول الى ايثاكا . لكن حب الاستطلاع جعل

رفاقه يفتحونها في غفلة منه • عندئذ يتضح أن الحقيبة كانت تحتوى على رياح عاصفة مضادة • وتنطلق تلك الرياح من فورها فتدفع سفينة أودوسيوس إلى الاتجاه المضاد • ويغضب عليهم أيولوس ويتخلى عن مساعدتهم • وتستمر السفينة بمن فيها لمدة ستة أيام تتقاذفها الأمواج حتى تصل إلى جزيرة يسكنها جماعة أخرى من المردة يسمون لايس تريونيس • ويهاجم هؤلاء المردة أودوسيوس ورفاقه فيقتلون عددا غير قليل ، ويفرقون سفن أودوسيوس ماعدا واحدة فقط ، انها سفينة أودوسيوس التي تواصل سيرها حتى تصل إلى جزيرة آبا ، حيث يعيش أيوس ومجموعات الراقصين المعروفين ، وحيث تشرق الشمس من ماواها • فى هذه الجزيرة تعيش الساحرة كيركى ، التى اعتادت أن تحول كل شخص غريب يزور الجزيرة إلى خنزير برى • ويتحول رفاق أودوسيوس إلى خنازير • لكن بفضل معونة هرميس ، وبفضل استنطاعة أودوسيوس الحصول على نوع من أنواع الحشائش السحرية ، ينقذ رفاقه ويعيدهم إلى صورتهم البشرية • ثم يقضى أودوسيوس عاما كاملا فى هذه الجزيرة • وعندما يلح أودوسيوس فى السماح له بالعودة إلى وطنه فان كيركى ترسل به إلى عالم الموتى •

الأنشودة (١١)

تستغرق رحلة أودوسيوس إلى عالم الموتى يوما كاملا ، يصل بعده إلى أقصى شواطئ المحيط ، إلى أراضى الكيميرين ، حيث يعيش البشر فى ظلام دائم • هناك

تنسكب الدماء خلال ثقب في سطح الأرض ، فيتجمع
الأشباح من حوله : ألبينور الذي لقي حتفه في جزيرة
كيركي ، والددة أودوسيوس ، العراف تايريسياس الذي
يتنبأ بما سوف يلاقه أودوسيوس من متاعب أثناء عودته
إلى وطنه ، والذي يتنبأ أيضا بانتصار أودوسيوس على
الطامعين . عندئذ يستعرض هوميروس قائمة من
الشخصيات النسائية التي تسكن عالم الموتى . ثم يتحدث
أودوسيوس مع كل من أجاممنون وأخيليوس ، ثم يذكر
لنا أسماء الأبطال الذين لقوا حتفهم في ميدان الشرف
والمدنسين الذين ارتكبوا الخطايا . عندئذ يتوقف
أودوسيوس عن الحديث ويذكر محدثه ألكينوس بالوعد
الذي قطعه على نفسه بأن يقدم له العون كي يعود إلى وطنه
سالمًا . لكن ألكينوس ومن حوله يطلبون من أودوسيوس
أن يواصل روايته الشائقة ، بينما يؤكد ألكينوس
لأودوسيوس أنه سوف يقدم له كل معونة ممكنة في صباح
اليوم التالي .

الأنشودة (١٢)

ويواصل أودوسيوس روايته . لقد تعرض لأهوال
لا حصر لها وصعوبات غير محتملة بينما كان يمر بمناطق
السيرينيس وسكيلا وخاريبيديس حتى وصل أخيرا إلى
تريناكيا ومنطقة ثيران إله الشمس . هناك لم يستطع
رفاق أودوسيوس احتمال الجوع فانقضوا على ثيران يملكها
إله الشمس فذبحوها واتهموا لحمها السمين . وثار إله

الشمس هيليوس ، وطلب من زيوس أن ينتقم له ، فأرسل
رب الأرباب عاصفة أطاحت بسفينة أودوسيوس ورفاقه في
عرض البحر . واستمرت الأمواج تتقاذف السفينة لمدة
تسعة أيام متوالية حتى ألقت بها في آخر الأمر الى شواطئ
أوجيجيا حيث توجد جزيرة كالوبسو . هكذا روى
أودوسيوس على الكينوس قصة تجواله الطويل .

الأنشودة (١٣)

وفي صباح اليوم التالي قدم الكينوس المؤن والهدايا
الى أودوسيوس وودعه على الشاطئ ، وبدأ أودوسيوس
رحلة العودة الى أرض الوطن . لكن بوسيدون مازال يقف
له بالمرصاد . انه يحول سفينة أودوسيوس الى كتلة من
الحجر ، لكن أثينة تصنع سحابة وتجعل أودوسيوس يسير
فوقها دون أن يلمحه أحد حتى يصل الى ايثاكا . عندئذ
تتجلى له الربة في هيئتها الربانية ، وتساعده في اخفاء
الهدايا التي كان يحملها من عند الملك الكينوس . ثم
تناقشه في كيفية القضاء على الطامعين . وأخيرا يتفق
الاثنان على أن أثينة سوف تجعله يظهر في هيئة شحاذ
عجوز .

الأنشودة (١٤)

يبحث أودوسيوس عن شخص يؤويه في مكان أمين
في ايثاكا كي يكون على مقربة من القصر الملكي . يبحث عن
داعي قطعانه الذي يدعى يومايوس ، ويقابله ويطلب منه

أن يؤويه فى كوخه دون أن يفصح له عن شخصيته -
فهو ما زال فى هيئة شحاذ عجوز . ويرحب به يومايوس،
ويقدم له طعاما وفراشا متواضعا ، ويقضى الليل فى كوخ
الراعى .

الأنشودة (١٥)

تذهب أثينة الى اسبرطة ، حيث يوجد تليماخوس ،
وتطلب منه أن يعود الى ايثاكا . وأثناء عودته يقابل العراف
ثيوكلومينوس عند مدينة بولوس . لقد أراد ذلك العراف
أن يهرب من المدينة ، لذلك يطلب تليماخوس منه أن
يصاحبه الى ايثاكا . عندما يصل تليماخوس الى ايثاكا ،
تعاونه أثينة وتدافع عنه ، اذ أنها تعلم أن الطامعين كانوا
قد أعدوا خطة للقضاء عليه . أثناء ذلك كان أودوسيوس
يقضى الليل فى كوخ يومايوس ، يسأله عن أخبار والد
أودوسيوس لاثرتيس وزوجته بنيلوبى . ومع فجر اليوم
التالى وصل تليماخوس الى ايثاكا وقصد من فوره الى كوخ
يومايوس حتى يأمن شر الطامعين .

الأنشودة (١٦)

يفادر يومايوس الكوخ ، ويتجه نحو القصر الملكى
ليخبر بنيلوبى بعودة تليماخوس . وينفرد تليماخوس
بالشحاذ العجوز ، فيفصح له عن شخصيته الحقيقية ،
وتعيده أثينة الى هيئته الأصلية . ويتم اللقاء بين الولد
والوالد ، ويتفق الاثنان على خطة للقضاء على الطامعين

وتطهير القصر الملكي من شرورهم . يحدث كل ذلك قبل
عودة يومايوس الى الكوخ . وعندما يعلم الطامعون بعودة
تليماخوس سالما ، يدبرون خطة أخرى للقضاء عليه .

الأنشودة (١٧)

فى صباح اليوم التالى يتجه تليماخوس نحو المدينة .
ويذهب الى هناك أيضا يومايوس بمصاحبة الشحاذ العجوز
(أودوسيوس) . يقابل تليماخوس والدته ، وفى مكان آخر
من القصر يوجد ثيوكلومينوس الذى يتنبأ بوجود
أودوسيوس فى ايثاكا . عندما يدخل أودوسيوس المدينة
يقابله راج آخر يدعى ميلانثيوس فيوبخه ويسىء معاملته .
لكنه عندما يقترب من القصر يراه كلبه العجوز فيتعرف
عليه على الفور ويحاول أن ينهض ليرحب به ، لكن الكلب
المسكين لا يقوى على ذلك ، ويسلم الروح سعيدا لأنه رأى
سيده الغائب . يدخل أودوسيوس القصر الملكى ، يحاول
أن يتعرف على الطامعين ، يقترب منهم ، يسألهم المعونة .
لكنهم يسيئون معاملته ، بل ويقذف أحدهم - ويدعى
أفتينوس - بمقعد صغير فى وجهه فيصيبه فى كتفه . لكن
يومايوس يساعده حتى تتاح له الفرصة لمقابلة بنيلوبى .
ثم يعود الى كوخ يومايوس فى المساء ليقضى الليل هناك .
ان أودوسيوس يفعل كل ذلك وهو فى هيئة شحاذ عجوز .

الأنشودة (١٨)

أثناء احدى حلقات المرح التى اعتاد أن يقيمها

الطامعون شب نزاع بين أودوسيوس الشحاذ العجوز
وشحاذ عجوز آخر يدعى ايزوس . لكن أودوسيوس يتغلب
على ايزوس ، بل انه يتناول أيضا على أمفينوموس - أحد
الطامعين . في تلك الأثناء تخرج بنيلوبي وتتقدم وسط
الطامعين المقيمين في إبهاء القصر ، وتعلن استعدادها
للزواج من أحدهم ، فتنهال عليها الهدايا . لكن أودوسيوس
دائم التطفل على الحاضرين ، مما يجعل إحدى الوصيفات
- وتدعى ميلانثو - توبخه وتسيء معاملته ، ويدفع أحد
الطامعين الى أن يقذفه بمقعد صغير في وجهه ، لكن
أودوسيوس لا يصاب في هذه المرة .

الأشودة (١٩)

يبدأ أودوسيوس وتليماخوس في الاستعداد لتنفيذ
الخطة للقضاء على الطامعين . فأخذا ينقلان أسلحتهم الى
خارج البهو الفسيح تحت جناح الليل ، بينما كانت أثينة
تضئ لهم الطريق بواسطة شعلة مضيئة تمسكها في يدها
الربانية . وتتاح الفرصة لأودوسيوس مرة أخرى فيقابل
بنيلوبي . يروى عليها بعض الروايات : انه يعدها نفسيا
حتى لا يفاجئها بخبر عودته . تشعر بنيلوبي نحوه بالشفقة
وتطمئن الى حديثه ، فتطلب من يوروكليا - مربية عجوز
كانت تتعهد وتقوم بخدمته قبل رحيله - أن تغسل له
قدميه وأن تعطيه بعض الثياب . لكن المربية العجوز
تكتشف وجود علامة في إحدى قدميه كانت قد اعتادت أن
تراها في إحدى قدمي أودوسيوس قبل رحيله الى طروادة .

وتكتشف المربية حقيقة الشعاذ العجوز : انه أودوسيوس . ويعترف لها أودوسيوس ، لكن يطلب منها أن تخفى حقيقة الأمر حتى عن بنيلوبي نفسها ، وأن تتعاون معه ومع تليماخوس حتى يتم القضاء على الطامعين . وفي صباح اليوم التالي نعلم أن بنيلوبي رأت في منامها أن القضاء على الطامعين قد أصبح أمرا وشيكاً . ولذلك فإنها تطلب من الطامعين أن يتباروا في قذف السهام ، على أن يستخدم الجميع قوسا واحدا يتبادلونه فيما بينهم : وهو القوس الضخم الذى كان يستخدمه أودوسيوس . وتخبرهم بقرارها الأخير طالما كانوا يتوقعون سماعه فى شغف شديد منذ سنين : انها سوف تتزوج ممن يتفوق فى هذه المباراة .

الأنشودة (٢٠)

يستولى الغضب على أودوسيوس ، عندما يكتشف حقيقة ما يدور فى قصره أثناء غيابه . ان بعض الوصيفات يضاجعن الطامعين ويشاركنهم اللهو والمرح ويشجعنهم على المضى فى أعمال الفسق والفجور . وتحاول أثينة أن تهدئ من غضبه وتخفف من همومه . ويقضى أودوسيوس تلك الليلة داخل القصر ، فى غرفة صغيرة متواضعة . وفى صباح اليوم التالي تعد يودوكليا وباقي الوصيفات المكان من أجل اقامة المباراة . يأتى يوهايوس وميلانشيوس ومعهما راع ثالث يدعى فيلويتيوس . ثم ينوى فى جوف القضاء صوت طائر أرسله زيوس كي يحفز الطامعين من أن يقتلوا

تليماخوس • وقبل بدء المباراة بقليل يقذف أحد الطامعين
– ويدعى كنسيبوس – بحافر بكرة في وجه أودوسيوس،
لكنه يخطئه ويصيب الحائط من خلفه • وتنتهى الأنشودة
بوصف مرح الطامعين ولهوهم ونبوة ينبطق بها
ثيوكلومينوس • فتمهد هذه النهاية لانتقام أودوسيوس
والقضاء على الطامعين •

الأنشودة (٢١)

تحضر بنيلوبى قوس أودوسيوس ، ويعد تليماخوس
الهدف للمتبارين • يحاول الطامعون – الواحد تلو الآخر –
استخدام قوس أودوسيوس ، لكن يفشل الجميع فى إصابة
الهدف وذلك لصلاية القوس وثقله وضخامته • فى هذه
اللحظة يفصح أودوسيوس عن شخصيته لكل من يومايوس
وفيلويتيوس ، اللذين يعربان عن رغبتهما فى معاونته •
وعندما يفشل الطامعون فى إصابة الهدف يقررون انهاء
المباراة على أن تعاد مرة أخرى فى اليوم التالى • لكن
أودوسيوس ينهض من فورهِ ، ويصمم على أن يجرب حظه ،
ويمسك بالقوس ، رغم معارضة الطامعين واحتقارهم وسوء
معاملتهم له • عندئذ تغلق يوروكليا الأبواب الموصلة الى
داخل القصر حتى لا تخف الوصيفات لمعاونة الطامعين ،
بينما يفتح فيلويتيوس الباب الموصل الى الخارج • فى هذه
اللحظة يجذب أودوسيوس وتر القوس فى سهولة بالغة ،
ويصوب السهم نحو الهدف ليصيبه فى ثقة وثبات •

الأنشودة (٢٢)

وتستولى الدهشة على الجميع . لكن أودوسيوس يطلق سهمًا آخر . أنه لا يصيب الهدف في هذه المرة بل يصيب أنتينوس - أحد الطامعين - في رديه قتيلاً ، ثم يعلن على الحاضرين - والقوس في يده - أنه أودوسيوس ملك إيثاكا ، وأنه إنما هو الآن في قصره ، وأن الوقت قد حان للقضاء على هؤلاء الطامعين الذين دنسوا قصره وأتوا على موارده وحالوا اغتصاب زوجته . ويتصدى له يوروماخوس ، لكنه يرديه قتيلاً . في هذه اللحظة يحضر تليماخوس أسلحة إلى داخل القاعة حتى يستخدمها هو ووالده وأتباعه المخلصون في القضاء على الطامعين . لكن ميلانثيوس يحضر أيضاً أسلحة ليوزعها على الطامعين كي يدافعوا عن أنفسهم . ويتنبه إلى ذلك الراعيان الآخران يومايوس وفيلويتيوس فيقبضان عليه . وتشد أثينة من أزر أودوسيوس ، فيتم القضاء على الطامعين . عندئذ يطلب أودوسيوس من يوروكليا أن تظهر القاعة من دنس الطامعين ، ويأمر بإعدام الوصيفات الخائنات ، كما يأمر بقتل ميلانثيوس والتمثيل بجثته . ويهمل التابعون المخلصون ويعبرون عن سرورهم لعودة ملكهم أودوسيوس .

الأنشودة (٢٣)

تنقل يوروكليا نبأ عودة أودوسيوس إلى بنيلوبي ، لكن الأخيرة لا تصدق النبأ . وعندما يذهب أودوسيوس

اليها فى الداخل ويقف أمامها فانها لا تصدق عينيها وتعبر
عن دهشتها وعدم اطمئنانها . وبالرغم من ذلك يأمر
أودوسيوس أن يقام حفل كبير فى القصر . ثم يغتسل
ويرتدى أبهى الثياب ، ويذهب مرة أخرى لمقابلة ينيلوبى،
لكنها ما زالت غير واثقة من صحة النبأ . انها تعتقد أنه
واحد من الطامعين ابتكر هذه الحيلة كي يستطيع أن
يتزوجها رغم ارادتها . لكن أودوسيوس يهتدى الى وسيلة
يستطيع بها أن يقنع ينيلوبى بعودته اليها . انه يخبرها
بسر لا يعرفه سوى ينيلوبى وأودوسيوس - سر يتعلق
بالعلاقة الزوجية التى استمرت بينهما سنوات قبل أن
يرحل . وبهذه الوسيلة وحدها تقتنع بنيلوبى وتطمئن له .
ويجتمع شمل الزوجين بعد فراق دام عشرين عاما، ويقضيان
الليل يروى كل منهما للآخر ما قاساه من أهوال وما صادفه
من متاعب . وعندما تشرق شمس اليوم التالى يتوجه
أودوسيوس ليرى والده .

الأنشودة (٢٤)

لقد ذهبت أرواح الطامعين الى العالم الآخر ، الى عالم
الموتى ، حيث يوجد اجامنون . ويدور هناك حديث بين
أجا ممنون وأخيليوس وأمفيميدون . والمقصود بذلك
المشهد أيضا هو المقارنة بين بنيلوبى التى ظلت مخلصه
لزوجها حتى عاد اليها وكلوتمنسترا التى قتلت زوجها
أجا ممنون عند عودته . ويذهب أودوسيوس لرؤية والده
فيجده فى مزرعته . ويتقابل الولد والوالد فيتبادلان عبارات

الشوق • أثناء ذلك ينطلق والد أنتينوس ويشير الفتنة بين أهالي ايثاكا ، ويجمع من حوله أقارب الطامعين ، ويحملون السلاح ويستعدون لقتال أودوسيوس ، لكن أثينة تتدخل في الوقت المناسب ، وتوقف القتال ، عندئذ تستقر الأمور في ايثاكا ويسود السلام ربوع البلاد

عالم الإلياذة والأوديسا

عالم الإلياذة والأوديسا عالم غريب . انه ليس بعالم الأبطال كما كان في العصور الموكينية ، ولا هو بعالم الملوك كما كان في عصر هوميروس ، ولا هو بعالم خيالي إيتكره مؤلف الإلياذة والأوديسا ، لكنه مزيج متوائم متجانس من عوالم مختلفة . انه عالم انساني قبل كل شيء ، فريد في مقوماته ، غريب في أطواره ، لكنه في نفس الوقت يتصف بالشمولية . فلقد صور هوميروس في الإلياذة والأوديسا عالما خاصا ، واعتمد في ذلك اعتمادا كليا على براعته في تصويره للشخصيات .

طبقة العبيد :

عندما يصف هوميروس شخصياته بانها «الهيبة» أو «شبيهة بالآلهة» فانه بذلك يؤكد انه يتعرض لمجموعة من الشخصيات النبيلة الكريمة . فأغلب شخصياته من ذلك النوع ، ماعدا عددا ضئيلا جدا من أصل متواضع . فحتى يومايوس - راعي قطعان أودوسيوس - ، الذي

اختطفه الفينيقيون أثناء صباه وباعوه في سوق الرقيق ،
فانه من أصل نبيل . أما الشخصيات التي ليست من
أصل نبيل فان كل اشارة اليها في الياذة والأوديسا
تكون مصحوبة بالتهكم والاحتقار . فثرسيتيس ، الذي
يتناول على ملوك الاغريق أثناء اجتماعهم للتشاور في
الشئون العسكرية ، ليس الا انسانا مشاغبا وحقيرا ، انه
لا يثير شفقة أحد عندما يضربه أودوسيوس بالعصا
فيترك آثار الضرب ظاهرة على جلد ظهره . ودولون ،
الذي يحاول بغباء أن يقلد الأبطال في تصرفاتهم وسلوكهم
ليس نبيلًا ، بل ثريا ، وانه لسخيف ، اذ أنه شقيق واحد
لخمسة شقيقات (!) ، بل ان أحدا لا يهتم به عندما يقع
في قبضة ديوميديس ويلقى مصرعه . ومن بين ذوى الأصل
المتواضع أيضا بعض خدم أودوسيوس في قصره بايثاكا :
ميلانثيوس الذي يعمل لحساب الطامعين والذي يدل
على وخشيته وانتهازيته عندما يعامل أودوسيوس باحتقار،
وبعض الوصيفات اللاتي بضاجعن الطامعين أثناء غياب
أودوسيوس، واللاتي شد أودوسيوس وثاقهن بعد انتصاره
على الطامعين وقضى عليهن شر قضاء .

وللعبيد مكانتهم في عالم الياذة والأوديسا ، لكن
تلك المكانة تتوقف على مدى اخلاصهم ووفائهم لسادتهم .
ان هوميروس يقارن من لم يخلصوا لأودوسيوس بمن
أخلصوا له : يومايوس الذي يقف مخلصا في جانب
تليماخوس في أول الأمر ، ثم في جانب أودوسيوس نفسه

بعد ذلك ، يوزوكليا المربية العجوز التي تظل رغم كل ما يقابلها من متاعب واضطهاد مخلصه لسيدتها بنيلوبي ، والتي حافظت على حياة سيدها أودوسيوس عندما تعرفت عليه فور عودته ولم تخبر أحدا - حتى سيدتها - بحقيقة الأمر حفاظا على حياته . ان عالم الالياذة والأوديسا عالم ملكي أكثر منه عالما أرسنستقراطيا . فمحور المجتمع هو الملك ، فاذا كان جميع الملوك في الالياذة يخضعون لملك واحد وهو أجا ممنون ، فانما يحدث ذلك بسبب ظروف الحرب . فمثل تلك الظروف تستدعي أن يسلم الجميع القيادة الى فرد واحد ، لكننا لا نلاحظ وجود ملك من بين كل هؤلاء الملوك أقل شأنا أو أضعف نفوذا من الآخر .

لقد اهتم هوميروس بالملوك والنبلاء لأن العرف كان يتطلب ذلك الاهتمام ، ولأن ذلك العرف كان يلقي ترحيبا لدى جمهوره الذي يتكون من الملوك والنبلاء الذين أجزلوا له العطاء . ولعل ذلك يعلل تمسك هوميروس بذلك العرف ، رغم أنه قد تغاضى في بعض الأحيان عن غيره .

طبقة الملوك والنبلاء :

يتصف أبطال الالياذة والأوديسا بالرجولة التي تظهر بوضوح أثناء الحروب ، والحرب ليست المحك الوحيد للبطولة ، لكنها المقياس الحقيقي الذي يحدد مدى مقدرة الرجل وطبيعته وأخلاقه وادراكه . ويبدى أبطال الالياذة

والأوديسا قوة خارقة أثناء القتال • وان وصف هوميروس للمبارزات الفردية بين بطلين متساويين في المقدرة والشجاعة لا بد وأنها كانت تلقى إعجابا من المستمعين ، اذ أنهم ربما كانوا يطربون في حياتهم اليومية لمشاهدة مثل تلك المبارزات بل ويمارسونها أحيانا • فالشخصيات الرئيسية في كل من الالياذة والأوديسا - مثل أخيليوس وهيكتور وأياس وباتروكلوس - يمتازون بقدر كبير من حب المغامرة والبراعة في القتال • انهم يظهرون مواهب رائعة أثناء القتال ، سواء بقوة سواعدهم أو سرعة أقدامهم، مقدرة على سرعة اتخاذ القرارات ، أو أصالة في وضع الخطط ، أو قوة احتمال لا حد لها ، أو ضراوة في الهجوم • وبالرغم من أن الأوديسا لا تتناول موضوعا يتعلق بالحرب بطريقة مباشرة فان القضاء على الطامعين داخل قصر أوديسيوس يصور مزيجا من التهور النزق والذهاء الواسع •

وان الصفات التي تظهر أثناء القتال هي في نفس الوقت صفات يجب أن يتصف بها الرجل العظيم ، وبذلك يصبح كريما شهما مخلصا قادرا على التوفيق بين أكثر من رغبة واحدة في سلوكه نحو النساء أو الطعام والشراب أو استخدام السلاح • ومواهب البدن ضرورية أيضا لاكتمال الصورة المثالية للبطولة ، لكنها تحتاج أيضا الى مواهب العقل والشخصية • اذ أن كل تلك المواهب تجعل البشر

يبدون أكثر نبلا وتجعل لهم مزيدا من التأثير على الغير .
ومثل هؤلاء البشر جديرون بعالم الثراء والعظمة الذي
يعيشون فيه . ففي قصورهم ترى الذهب مكدسا يملأ
الخزائن ويزين الأبهاء والأثاث والثياب ، وفي حياتهم
اليومية يقوم على خدمتهم جماعات من الذكور والاناث ،
وفي حظائرهم يحتفظون بقطعان الماشية والخنازير ، وفي
ولائمهم ينعمون دائما بما لذ وطاب . وأثناء القتال يفخرون
بأسلحتهم وعتادهم الحربي المصنوع من البرونز والمرصع
بالذهب أو الفضة أو العاج ، وفي مجالسهم لا يظهرون
حكمة ولباقة فقط بل ويلفتون الأنظار بفصاحتهم وطلاقة
عباراتهم . وحتى أثناء أجاديتهم العادية فانهم يختارون
أرقى الألفاظ وأجود الأساليب . انهم لا يكرمون الضيوف
فحسب ، بل ويساعدونهم على الاهتداء الى الأماكن التي
يرغبون الاهتداء اليها بعد أن يقدموا لهم الهدايا .
وبالإضافة الى ذلك فانهم يغدقون في بذخ أثناء القيام
بالصلوات ويقدمون الأضاحي في سخاء على مذابح الآلهة .
لقد صور هوميروس في الإلياذة والأوديسا عالما أكثر ثراء
وأكثر عظمة من ذلك العالم الذي عرفه وعاش فيه ، وكان
عليه أن يضع قصته الانيسمانية في قلب ذلك العالم .
وهكذا صاغ هوميروس قصته عن البشر داخل اطار
بطولي . كان في استطاعته أن يستخدم الماضي كوسيلة
للهرب من الواقع ، أو كمنطلق نحو الرومانسية ، أو
كتبرير لتصوير ما هو غير معروف أو غير مألوف . لكنه
لم يفعل هذا ولا ذاك ، بل وجد في الماضي وسيلة استطاع

بها أن يسمو بالصورة التي أراد أن يرسمها للعالم
البشرى .

ولا تظهر صفات أبطال هوميروس من خلال تفكيرهم
أو أحاسيسهم - فذلك ما لا يستطيع الشعر الملحمى عند
هوميروس أن يفعله - بل من خلال أقوالهم وأفعالهم ، اذ
أن أفعالهم تنبع عادة من طبيعتهم . فاذا كانت الليادة
تبدأ بغضب أخيلئوس ، ثم يؤدي غضبه الى هزيمة الاغريق ،
ثم تؤدي الهزيمة الى مصرع باتروكلوس ، فان ذلك له
علاقة وثيقة بكيان أخيلئوس ، بتلك الروح العالية المزهوة
التي تجعل من أخيلئوس رجلا يمتاز بقدر من الشراسة
والضراوة أكثر مما يمتاز به جميع الرجال الآخرين . واذا
كان الحديث عن دهاء أودوسئوس يغلب على الحديث عن
شجاعته ، فان شجاعة أودوسئوس هي التي تؤدي به الى
الوقوع في المأزق المتعددة والتي لا ينقذه منها جميعا سوى
دهائه . واذا كان هيكتور محاربا مغوارا وزوجا محبا
والدا حنوناً فان السبب في ذلك هو أن لديه شيئا يحارب
من أجله وهو عائلته ومدينته . واذا كان أجا ممنون شجاعا
ومتريدا ومهيبا ومتعجرفا فان السبب في ذلك هو أنه
يتحمل مسئوليات أكثر مما يتحمله زملاؤه قادة الاغريق
وأنه يحس بثقل تلك المسئوليات . واذا كان تليماخوس
لا يستطيع في أول الأمر الصمود في وجه الطامعين فان
السبب في ذلك هو أنه ما زال صبيا تنقصه الخبرة والحكمة
والثقة بالنفس ، لكنه عندما يقابل والده وينتصح بنصحه

فانه يسلك سلوكا متزنا ويتخلص من الخوف والتردد .
فلمعرفة كيف رسم هوميروس شخصيات أبطاله علينا أن
نعرف أولا أن أبطال هوميروس انما يفصحون عن أنفسهم
ويؤكدون وجودهم عن طريق أفعالهم .

لكن هوميروس أدرك صعوبة مهمته عندما أقدم على رسم
الشخصيات النسائية في الألياذة والأوديسا . إذ أن
بعض تلك الشخصيات كانت لها بالضرورة أدوار هامة في
الروايات القديمة ، والبعض الآخر كان عليه أن يبتكره
ليسد به احتياجات القصة ، فهيلينا ، تلك المرأة الرائعة
القاتنة التي كانت سببا في قيام حرب طروادة ، وبنيلوبي ،
تلك الزوجة المخلصة التي صمدت أمام جميع عوامل الفتنة
والاغراء أثناء غياب زوجها ، شخصيتان ضروريتان جدا
بالنسبة لموضوع الألياذة والأوديسا . كان من السهل على
هوميروس أن يصور ينيلوبي في هيئة امرأة مغلوبة على
أمرها تقع ضحية في يد رجال لا يعرفون الرحمة ولا يقيمون
وزنا للشرف أو المروءة . وكان من الطبيعي حينئذ أن
تستحوذ على العطف نتيجة لما تقاسيه من اساءة وما يقع
عليها من جور . لكن هوميروس قد صور بنيلوبي في صورة
مختلفة تمام الاختلاف . فبنيلوبي تبتكر حيلة تفسد
بواسطتها خطة الطامعين وتؤخر موعد زواجها - أو
اغتصابها على الأصح . وإن هذه الحيلة التي تبتكرها لا بد
وأنها مقصودة لكي تبرز ميزات أخرى في شخصية بنيلوبي :
انها امرأة حريضة تمام الحرص ، إذ أنها لا تقتنع بسرعة

عندما يقف أودوسيوس أمامها ويخبرها بعودته . انها
امرأة لا تنقصها الجرأة ، فبالرغم من أنها تشكو من الشكوى
من وحشية الطامعين وتبدو واقعة في قبضتهم الا أن لها
تأثيرا قويا عليهم جميعا - كما يظهر بوضوح عندما تخرج
لمقابلتهم في الأنشودة الثامنة عشرة . ان بنيلوبي ليست
ضحية لقوى أعظم منها ، لكنها تبكى أحيانا . ولعلنا لانفسر
بكاءها على أنه يأس بل على أنه شدة حرص وتقدير كامل
لموقفها الصعب . أما شخصية هيلينا فلها أيضا جوانبها
الخاصة بها . كان في استطاعة هوميروس أن يصورها
- كما دأب على ذلك شعراء التراجيديا فيما بعد - على أنها
ليست فقط مصدرا للشر بل الشر بعينه . لكن هوميروس
قد فعل عكس ذلك ، اذ رأى أنه لم يكن من المستحيل عدم
قيام الحرب من أجل تلك المرأة . فهيلينا - كما يقول
الرجال من فوق أسوار طروادة - تشبه الهة رائعة الجمال
إذا ما نظر المرء اليها . بل وأكثر من ذلك فقد جعل
هوميروس جمهوره يحس بهيلينا ويشاكرها أحاسيسها .
فعندما ترفض مضاجعة باريس الذي اختطفها فانها ترغم
على ذلك بواسطة أفروديتا ، التي تقف لها بالمرصاد دون
رحمة ولا هوادة . وعندما يلقي هيكتور مصرعه فان بكاءها
عليه لا يقل عن بكاء زوجته ووالدته ، بل انها تتذكر في
حزن عميق ما كان يديه نعوها من عطف على الدوام . وحتى
بعد ذلك بعشرة أعوام ، عندما تعود الى زوجها منيلاووس
في اسبرطة ، فانها تتميز بنفس الصفات التي تميزت بها

من قبل . انها تشعر بالذنب ، وتعتقد أنها كانت سبب كل تلك الشرور ، ومع ذلك فانها ترعى مصالح الآخرين في اهتمام يفوق اهتمامها بنفسها أو بمصلحتها الخاصة . ان شخصيات هوميروس تخضع لموقفها وظروفها ، لكنها تبدو أكثر ثراء وأكثر حيوية مما يتطلبه ذلك الموقف وحده وتلك الظروف وحدها . انه يستغل مكانته الشخصية التي يريد تصويرها لكي يجعل منها شخصية أخرى تتصف بمزيد من الانسانية وتبعث مزيدا من التأثير .

واذا كان هوميروس قد صور شخصياته النسائية داخل اطار انساني ، فانه قد احتفظ لتلك الشخصيات بمستوى معين متميز . قد تتصف تلك الشخصيات ببعض النقائص التي يتصف بها باقى البشر ، ولكنها ليست شخصيات ضعيفة أو تافهة . فأغلب شخصياته لها من الصفات ما تتفق مع بعض الصفات المميزة للعالم الهوميروى حيث وجدت البساطة والصراحة والحيوية . ف قصة مساعدة ناوسيكلا لأوديسيوس الغريب الذى ألقى به الأمواج الى مملكة والدها الكينوس قصة قديمة . لكن هوميروس تناولها بطريقة الخاصة . ان ناوسيكلا فتاة فى مقتبل الشباب ، وعندما تشاهد أودوسيوس يخرج عاريا من الماء متجها نحو الشاطئ تخفى وجهها بين يديها وهى تتحدث اليه فى وقار وحشمة ، حتى اذا ما تأكدت أنه قد اغتسل ووارى عورته تنظر اليه وترشده ، كيف يذهب الى قصر والدها الملك كي يحظى بمقابلته . ان هوميروس

بذلك يؤكد نبيل ناوسيكاً وعراقاً أصلها . انها أميرة ذات خلق قويم ، كذلك فهي جديرة بأن تنال شرف انقاذ بطل ومعاونته . كذلك بالرغم من أن شخصية بريسيس ضرورية بالنسبة لموضوع الاليادة - اذ أن استيلاء أجاممنون عليها هو الذى يثير غضب أخيليوس - فانها أثناء ذلك لا تقول شيئاً ولا تفعل شيئاً يقدم أو يؤخر من تطور الحدث . انها لا تنطق بكلمة واحدة حتى لا يتهم هوميروس بالادلأء برأيه الشخصى فى النزاع بين البطلين من خلال كلمات تلك الفتاة . ولكن بعد ذلك ، عندما يسجى جسد باتروكلوس فى خيمة أخيليوس فانها تنطلق فى البكاء وتتحدث عن معاملته الطيبة لها قبل مصرعه . ولهيكثور أيضاً زوجة ووالدة ، ولكل واحدة منهما واقعها الخاص ، بل لكل واحدة منهما أيضاً معاناتها التراجيدية الخاصة بها . فاندروماخى الشابة تعتمد على زوجها فى كل شيء ، ومن خلال حبها العنيف له تتنبأ بمصرعه . وعندما تعلم بموته وتشاهد جثته مربوطة خلف عجلة أخيليوس فانها توقن بنهايتها ونهاية طفلها . عندئذ تنقلب فجأة أنموذجاً للأرملة المحزونة . أما هيكلوبى والدة هيكتور فهي امرأة عجوز ، قاست من الأهوال ما يفوق الحصر ، فقدت عدداً من أبنائها فأصبحت قلقة تنتابها الهواجس والمخاوف على الدوام . انها تتوسل الى هيكتور كى لا ينازل أخيليوس ، وهى تتوسل أيضاً الى زوجها برياموس كى لا يغامر بحياته أيضاً ويقابل أخيليوس من أجل استرداد جثة ولده

هيكثور..، لكن توسلاتها تضيع هباء في كل مرة : وبالرغم من أنها - في ثورة من الغضب - تعبر عن رغبتها في الانتقام من أخيلئوس فإنها تخضع في النهاية لمصيرها المحتوم وكأنها لا تستطيع أن تتحدى ذلك المصير . إنها تلعب دور الأم العجوز لبطل قوى ، لكن لها كيائها الخاص بها ، ولها انفعالاتها وأحاسيسها واتجاهاتها النفسية الخاصة بها أيضا . ان هوميروس يثير الاهتمام بشخصياته النسائية من خلال تصوير مواقفها ، لكنها تتميز بما هو أكثر من ذلك : انه يركز الاهتمام عليها بدرجة كبيرة حتى أن مواقف الشخصيات تكشف جوانب عديدة من ذواتها فتصبح كل شخصية جزءا لا يتجزأ من دراما إنسانية رائعة .

طبقة العامة :

بالرغم من اهتمام هوميروس الظاهر بشخصيات الملوك والنبلاء ، فانه قد فطن الى أن الصورة الفنية في أشعاره لا يمكن أن تكتمل الا اذا أضيفت اليها بعض اللوحات الشعبية والمشاهد التي تضم أفراد الطبقة العامة . والحقيقة هي أن هوميروس لم يقم بمثل هذه اللوحات والمشاهد على مجرى الأحداث ولكنه جعلها عنصرا مكملا للصورة العامة لمشاهد الحدث الرئيسي . فعندما يذكر درع أخيلئوس الذي صنعه له الرب هيفايستوس ينطلق في

وصف المشاهد المنقوشة عليه : عليه نقوش تصور مدينتين ، الأولى فى حالة حرب والثانية تنعم بالسلام . وعند وصفه للأولى فانه يصور - على سبيل المثال - كيف يهاجم الأعداء الرعاة الأمنيين ، ويستولون على ماشيتهم . صحيح ان جيش الأعداء يقوده الرب آريس والربة أثينسة ، لكن الذين يصيبهم الضرر هؤلاء الرعاة المساكين أفراد الطبقة العامة الذين لا يملكون من أمرهم شيئا . وعندما يتعرض لوصف المدينة التى تنعم بالسلام فانه يصف - على سبيل المثال أيضا - حفل زواج ويصور كيف يسير الرجال فى موكب عظيم ينشدون ويغنون ويرقصون بينما وقفت نساء المدينة على أبواب المنازل يشاهدن الاحتفال . كما يصور مناظر أخرى من الحياة : أناس يحراثون الأرض ، وآخرين يجمعون المحاصيل ، وآخرين يجمعون الكروم ، وماشية تشرب من النهر وهى آمنة . ولكنه من الواضح أن وصف الأعمال الفنية لم يكن شيئا عاديا قبل عصر هوميروس ، لذلك فانه يمكن القول بأن هوميروس ابتكر تلك الوسيلة ليضيف ما يراه ضروريا كي تكتمل الصورة التى يرسمها لعالم البشر كما يتخيلها هوميروس نفسه .

ولقد اتبع هوميروس طريقة أخرى لتصوير تلك المشاهد واللوحات : هى استخدام الصور الفنية والتشبيهات البلاغية . ابتكر هوميروس صورا وتشبيهات بلاغية رائعة أصبحت فيما بعد خاصة من خصائص أسلوبه الفريد .

وربما كان يقصد من وراء صياغة مثل هذه التشبيهات والصور أن يذكر جمهور مستمعيه بفئات معينة من الطبقة العامة . فمن بين مئات الصور والتشبيهات التي ترد في الـإلياذة والأوديسا يمكن أن نذكر ما يلي على سبيل المثال : مجموعة من الفلاحين يجمعون محصول الشعير ، مجموعة من الصبية يضربون ثورا ليبعدوه عن حقل مزروع بنبات القمح ، مجموعة من العمال يقطعون شجرة فيشقون ساقها إلى ألواح ويصنعون منها سفينة ، امرأة تغزل الصوف حتى توفر القوت الضروري لأطفالها ، رجل يبكي وهو يودع جثة ابنه الوداع الأخير . صحيح أن التشبيه ظاهرة بلاغية لها مكانها العادي واستخدامها المعروف في الشعر ، لكن هوميروس غالبا ما يتجاهل القواعد العامة للتشبيه ويسهب في وصف الصورة البلاغية بينما يوجز إيجازا شديدا في وصف الصورة الأصلية . ولعل هوميروس يقصد بطريقته هذه أن يدل على اعتقاده بأن عالم البطولة ليس كل شيء بل هناك أشياء أخرى مألوفة وعادية يمكن أن تلقى على جوانب ذلك العالم البطولي مزيدا من الضوء وأن تمنحه مزيدا من الحيوية وتحقق له مزيدا من الكمال .

العلاقة بين الشخصيات :

لم يكتف هوميروس برسم شخصياته بطريقته الخاصة ، بل كان بارعا أيضا في إيجاد توازن بين كل شخصية وأخرى وتنظيم جميع تلك الشخصيات تنظيمًا خاصًا بحيث

تبرز معالم كل شخصية معالم الشخصية الأخرى . ففي الأوديسيّا يضع هوميروس أودوسيوس وأعوّانه - ومن بينهم الرّبة أثينة - في طرف وجميع الطامعين ومن يعاونهم في الطرف الآخر . ولعل ذلك الترتيب يبدو لأول وهلة بسيطا غير معقد . أما في الإلياذة فالترتيب يبدو أكثر تماسكا وأشدّ تعقيدا . انه ينتظم عالمين أو طرفين أيضا : عالما من الذكور فقط وهو ما يمثله جيوش الاغريق ، وعالما آخر من محاربين ونساء وعجائز وزوجات وأطفال ورجال مسنين وهو ما يمثله مدينة طروادة بأكملها . ان هذه المقابلة بين العالمين تلفت الأنظار الى وجود فكرة معينة عن الحرب وتؤكد معنى وجود هذه الفكرة في أكثر من جانب . ولو لم يفعل هوميروس ذلك لما أصبح الحدث في الإلياذة سوى سلسلة من المعارك الوحشية الضارية التي لا علاقة لها بالمشاعر الانسانية .

فاذا تناولنا شخصية أخيليوس - بهذا المفهوم - نرى انه أنموذج للبطل الذي يسعى لتحقيق المجد لنفسه ولشخصه . فنحن نرى أن له أحاسيسه الانسانية ، وخاصة احساسه نحو صديقه باتروكلوس الذي سمح له أن يذهب الى ساحة الوغى بدلا منه والذي كان موته سببا في كراهية أخيليوس الشديدة نحو هينكتور . وصحيح أيضا أن أخيليوس يحس احساسا قويا بأواصر الزمالة الحقّة بينه وبين القادة الاغريق الآخرين مثل أودوسيوس وديوميديس

ونستور . لكن بالرغم من ذلك فان أخيلئوس تسيطر عليه
روح العزلة والانطوائية . فما زال وألده حيا ، لكنه لا يراه
على الإطلاق ، اذ يفصل بينهما البحر العريض منذ عشرة
سنوات ، توأسيه والدته أحيانا وتنصحـه ، لكنها ربه
وليست بشرا ، فهي لا تتقيد بالعلاقات البشرية التي يجب
توافرها بين الأم وابنها . ان هوميروس يصور الدراع
التي تثير أخيلئوس ، كما يصور أيضا مآثره التي ينجزها ،
وبذلك يضفي على شخصه صابعا انسانيا لا يتصف به
سوى بضعة أبطال حقيقيين . لكن بالرغم من ذلك يظل
أخيلئوس بطلا متمسكا بمثله العليا عن المروءة والمجد
ومستعدا لأن يتعذب أو يموت من أجلها . ويشبه باقى
القادة الاغريق أخيلئوس من ناحية أو أخرى ، ولكنه يفرض
نفسه عليهم جميعا بفضل ما يتصف به من قوة داخلية
تفوق أية قوة داخلية أخرى لدى أى رجل آخر . قد يعنى
ذلك أن أخيلئوس يمثل الآخرين ، ولعل السبب فى ذلك
هو أن أخيلئوس يقوم وحده بكل الأعمال الجيدة التي يقوم
بها جميع الرجال الآخرين مجتمعين بل ويؤديها أخيلئوس
على وجه أكمل . وعلى تقيض من أخيلئوس يقف القائد
الطروادى هيكتور ، اذ أن هوميروس وضع شخصيته فى
قالب مختلف تمام الاختلاف . انه أيضا جندى شجاع
مغامر ، لكن عظمتـه انما تكمن فى أنه لا يمثل روح طروادة
فقط بل ووجودها الحقيقى . ان له جانبه الانسانى القوى
التأثير ، وخاصة عندما يهذى من روع زوجته أو يداعب

ابنه الصغير . انه يعرف حق المعرفة حقوق والدته عليه ،
ويعامل هيلينا فى أدب ورقة . انه هو أيضا الذى يزيد
من صلابة عود المقاومة الطروادية ، وهو الذى يقود الجيوش
ويهاجم السفن الاغريقية . وهو أيضا الذى يوبخ باريس .
انه يعلم أن عليه أن يقاتل أخيليوس وأنه ملاق حتفه على
يديه لا محالة . لكنه يقدم على ما نوى فى صمت رهيب ،
ويذهب الى الموت بخطى ثابتة ، وبموته تبدو طروادة وكأنها
هى التى تموت وتفتنى .

فان كان أخيليوس يمثل الصورة المثالية الحققة
للبطولة الذاتية ، فان هيكتور يمثل صورة متطورة لها
حيث أصبح فيها البطل مرتبطا ارتباطا وثيقا بواجبه نحو
أسرته ووطنه . واذا كان أخيليوس يمثل النظرة القديمة
للبطل ، فان هيكتور يمثل نظرة هوميروس نفسه الى
ما يجب أن يكون عليه ذلك البطل .

طبقة المخلوقات الخرافية :

يصور هوميروس فى الالياذة والأوديسا شخصيات
خرافية أيضا . والميثولوجيا الاغريقية مليئة بالقصص التى
تتناول مثل هذه الشخصيات الخرافية . وليس هناك ذكر
لمثل هذه المخلوقات فى الالياذة - اللهم الا اذا استثنينا
الإشارة العابرة الى مخلوق عجيب يدعى خيمائرا . أما
الأوديسا فمليئة بمثل هذه المخلوقات ، وخاصة تلك التى

يقابلها أودوسيوس عندما يصل الى عوالم خيالية ليس لها ما يشبهها من عالم البشر . ولقد اتبع هوميروس طريقتين في تصوير مخلوقاته الخرافية :

الطريقة الأولى هي تصويرها في صورة بشعة للغاية وتمييزها على جميع المخلوقات واعطاؤها صورة مخيفة كريهة لا يكاد يقدر انسان على أن يتخيلها قط . مثال ذلك عندما يصف سكيلا بأن لها ستة رؤوس ، في كل رأس منها ينبت صف طويل من الأنياب ، وأن لها اثني عشر رجلا ، وأنها تنبح مثل الكلاب . انها - كما يصورها هوميروس - مخيفة كريهة للغاية ، واننا لنتنفس الصعداء عندما يستطيع أودوسيوس بعد جهد مضمّن الهروب من قبضتها . وملكة جماعة اللايستروجنيس شخصية تثير الرعب أيضا ، لكن كل ما يقوله هوميروس هو أنها امرأة في ضخامة الجبل ، منظرها يثير الاشمئزاز . بل ان بشاعتها تبدو واضحة تمام الوضوح عندما يخبرنا هوميروس أنها قد التهمت رجلين من رجال أودوسيوس في وقت العشاء . أما الكوكلوبس بولوفيموس فان هوميروس يسهب في وصفه من جميع النواحي . انه وحش ضخم الجثة ، عندما يرقد على الأرض فانه يشبه نتوءا جبليا يبرز بين قمم جبلية عالية ، انه يستقبل ضيوفه من البشر بطريقة غير ودية على الاطلاق ، يمسك بأكثر من واحد منهم في إحدى يديه ويضرب برؤوسهم في الصخرة - كما يضرب

الطفل بدمية يلهو بها - فيحطمهم قبل أن يلتهمهم بلحمهم وعظائهم ، ثم يغط في نوم عميق وهو يطفح الدماء المتجنطة من فمه أثناء نومه .

أما الطريقة الثانية نهى أن هوميروس يحاول أن يضيف على مثل هذه المخلوقات الخرافية بعض صفات البشر . فان كلا من كيركى وكالوبسو - على سبيل المثال - ساحرة . الأولى لها القدرة على تحويل أفراد البشر الى حيوانات والثانية تقبض عليهم وتلقى بهم داخل كهفها السحيق . يصور هوميروس كيركى في صورة ساحرة تحول أتباع أودوسيوس الى خنازير ، لكن عندما يستطيع أودوسيوس أن يخضعها فانها تصبح صديقة له وتقدم له العون في محنته . أما كالوبسو فقد جعلها هوميروس تلعب دورا . يمكن من المتوقع أن تلعبه على الاطلاق . فهي ربة جميلة فاتنة ، تعيش وحيدة في جزيرة منعزلة تقع في طرف بعيد من أطراف العالم النائية . في ذلك المكان البعيد تنقذ كالوبسو أودوسيوس وأعوانه من الغرق . انها تقع في غرامه ، وتتعهد به بالرعاية والعناية ، وتعرب له عن أملها في أن تعيش معه على الدوام . ومن أجل ذلك تحاول أن تسقيه كأس الخلود وتخرجه من كيانه البشري . لكن أودوسيوس ما زال مشوقا للعودة الى وطنه وزوجته . وعندما تصدر أوامر الآلهة الى كالوبسو ، فانها تخلق سبيل أودوسيوس على الفور ، وتعاونه على مغادرة الجزيرة في سلام . هكذا نجد أن كلا من كيركى وكالوبسو لا يثيران

الفرخ فى النفوس ، رغم كونهما مخلوقات خرافية • بل
وأكثر من ذلك هو وجود بعض التشابه بينهما وبين أفراد
البشر •

وبفضل كل من الطريقتين استطاع هوميروس أن يركز
الاهتمام كاملاً على البشر • ولقد جعل هوميروس قدرة
البشر محدودة فى الإلياذة والأوديسا • فهو لم ينسب
أعمالاً خارقة إلى فرد من أفراد البشر ، كما أنه قرب بين
قدرة المخلوقات الخرافية وقدرة البشر • فإذا كان من الضروري
أن يقوم فرد من أفراد البشر بعمل خارق فإن هوميروس
يسارع فينسبها للآلهة • مثلما يحدث عندما ينجو باريس
بأعجوبة من الموت أثناء قتاله مع منيلاوس ، فإن الفضل
فى ذلك يرجع إلى أفروديتا ، أو عندما يغير أوديسيوس
هيبته فيتحول إلى شحاذ عجوز ، فإن ذلك يحدث بفضل
مساعدة أثينا ، أو عندما تتحدث خيول أخيليوس وتتنبأ
بمصرعه فإن هيرا هى التى جعلتها قادرة على النطق وهى
التى لقنتها الكلمات • وحتى كلب أودوسيوس - فى
الأوديسا - فإن هوميروس يصفى عنه بعض الصفات
الإنسانية : فعندما يعود أودوسيوس إلى إيثاكا يجد كلبه
العجوز لا يقوى على النهوض ، ورغم ذلك ينظر الكلب نحو
سيده فى اخلاص ووفاء ثم تفيض روحه على الفور • وهكذا
 نجد أن هوميروس قد طبع جميع شخصياته بطابع إنسانى
حتى عند تصويره للمخلوقات الخرافية أو الحيوانات ،
مما جعل قصته وحدة يغلب عليها الطابع الإنسانى •

طبقة الآلهة :

تختلف طريقة هوميروس في تناوله للآلهة عنها في تناوله للبشر . فهناك تناقض ظاهرى في تناوله للآلهة . لكن يمكن تفسير ذلك التناقض تفسيراً معقولاً إذا تعرفنا على طبيعة موقف الاغريق من آلهتهم . فجميع الآلهة الاغريقية ذات هيئة ناسوتية ، وتصرفاتهم ليست مختلفة عن تصرفات الناس . والفرق بين الآلهة والبشر هو أن الآلهة لا تدركهم الشسيخوخة قط ولا يلحق بهم الموت ولهم من القوة والسلطان ما يفوق ما للبشر منهما . ولقد تسببت هذه النظرة في خلق اعتقادات مختلفة بين الاغريق . فليس هناك شك في قدرة الآلهة . وهوميروس مدرك تماماً لذلك الاعتقاد ، وعليه يعتمد في بناء أحداثه . فعندما يومئ زيوس برأسه تهتز قمة جبل الاولومبيوس ، وعندما ينتقل بوسيدون من ساموثريس الى ايجاي (وهى مسافة لا يستطيع أن يقطعها البشر فى بضعة أيام) تهتز من تحته الغابات وهو يقطع المسافة فى ثلاث خطوات فقط ، وعندما يعلم بوسيدون أيضاً بوجود سفينة اودوسيوس وسط البحر يرسل عاصفة بحرية تغرق السفينة فى لحظات معدودات .

ان لدى الآلهة قوة خارقة ، لكنهم من ناحية أخرى يقضون أوقاتهم كما يقضى البشر أوقاتهم لو أنهم كانوا - مثل الآلهة - قادرين على أن يصبحوا فى مأمن من الشسيخوخة

والموت . فلأن الآلهة ليسوا مهددين بما يهدد البشر وليسوا ملتزمين بما يلتزم به البشر فأننا نراهم يستمتعون بأوقاتهم أيما استمتاع ويتناقشون فيما بينهم على مهل .
فالآلهة الأولومبوس يمثلون أفراد أسرة واحدة ، دائما في نزاع وصراع فيما بينهم ، حتى أن كبيرهم زيوس يجد أحيانا صعوبة بالغة في السيطرة عليهم والحكم بينهم .
فعندما يمنعهم من التدخل في القتال بين الاغريق والطوراديين - في الالياذة - تخدعه هيرا بحيلة أنثوية ،
اذ تقدم له الحب والشراب فيدور رأسه وينتشى جسده
فينسى أن هناك قتالا يدور بين سكان الأرض . وقد لا تستطيع الآلهة في بعض الأحيان أن تحيط بكل شيء علما ، فبعضهم لا يعلم آخر تطورات القتال بين طروادة والجيوش الاغريقية . مثال ذلك عندما تحيط سحابة من الذهب بالاله آريس فتجعله لا يعلم بمصرع ولده أسكالا فوس في ميدان القتال . ذلك جزء من التشابه الكائن بين الآلهة والبشر . وعندما يبدأ الآلهة في إبراز الجانب البشري في طبيعتهم يذهب عنهم الوقار والهيبة ويظهرون في صورة تثير الضحك . ففي قصر الكينوس يصف المنشد فيميوس كيف كان آريس يطارح أفروديتا الغرام عندما ضبطه زوجها هيفايستوس فنسج حولهما شبكة غير مرئية حتى يتمكن جميع الآلهة من مشاهدتهما والاستهزاء بهما .
ان الوسيلة التي تلجأ اليها هيرا كي تحول انتباه زوجها عن القتال ليست أقل إثارة للضحك من الحادثة التي

يرونها نيمبوس - خاصة عندما يخضع زيوس لاغراء هيرا
وتسيطر عليه بسحرها فيعدد لها مغامراته العاطفية مع
نساء أخريات ويعترف بأن فتنتها تفوق فتنة جميع النساء
الأخريات . وكما أن البشر يقاتل كذلك الآلهة أيضا
تشارك في القتال . لكن بالرغم من النعمة الكبرى التي
يتمتعون بها دون البشر - وهي عدم التعرض للموت أو
الفناء - فإن تصرفاتهم أحيانا لا ترقى الى مستوى تصرفات
البشر . فعندما يصيب ديوميديس اله الحرب آريس بجرح
أثناء القتال يصرخ اله الحرب من الألم . وعندما تشعر
أفروديتا باليأس في بعض الأحيان تبكي وتلجأ الى والدتها
ديوني أو تبحث عن يواسيها ويخفف عنها في محنتها .

قد يكون لمثل هذه المشاهد تأثير يشبه ذلك التأثير
الذي تحدثه الفواصل الكوميديّة . لكن التأثير الكوميدي
لهذه المشاهد لا يأتي نتيجة لعدم احترام الآلهة أو عدم
الاعتراف بهم ، بل انه على العكس قد يكون نتيجة للاعتقاد
الراسخ فيهم . فلقد اعتقد الاغريق أن الآلهة يسلكون
سلوكا قد يسلكه البشر لو أنهم في يوم ما تخلصوا من
التفكير في الشيخوخة أو الموت وأنفوا عن عواقبهم الواجبات
الصعبة والمسئوليات الجسيمة . فالكوميديا تكون في هذه
الحال نتيجة الأمان المطلق الذي تتصف به حياة الآلهة .
فالاشتراك في القتال - على سبيل المثال - ليس مغامرة
حقيقية بالنسبة للآلهة ، طالما أنهم واثقون أنهم لن يموتوا

مهما توالى عليهم الهجمات . ونتيجة لذلك فانهم لا يقضون أوقاتا طويلة فى اقامة المآدب وممارسة ألوان الحب والغرام فحسب ، بل ويضحك أيضا كل منهم من الآخر تماما كما يفعل أفراد البشر فى أوقات فراغهم اذ يتخلصون لوقت ما من همومهم . فان كان الآلهة يضحكون كل منهم من الآخر فان ضحك أفراد البشر من الآلهة ليس فيه ما ينافى قواعد الاحترام أو الهيبة ، اذ أن ذلك الضحك ليس الا استمتاعا بما يقوم به الآلهة من أعمال كما يفهمه أفراد البشر أنفسهم . ولما كانت تلك القصص قديمة قدم الوجود البشرى فانها كانت تتطور فى بعض تفاصيلها على مدى الأجيال المتعاقبة . ولقد أضيف الى تلك القصص كما وردت فى الإلياذة والأوديسا بعض التفاصيل الغريبة وبعض العناصر التى لم يكن من المتوقع اضافتها . لكن هذه الاضافة ذات أهمية واضحة فى دراسة أشعار هوميروس .

وبالرغم من تلك السخرية الظاهرية التى يتناول بها هوميروس آلهة الاغريق فان تلك الآلهة لهم مكانتهم وأهميتهم فى كل من الإلياذة والأوديسا . فكل شئ فى النهاية يتوقف على رغباتهم وأهوائهم . وربما كان التفسير المعقول لهذه الظاهرة هو أن الإلياذة والأوديسا بحالهما الراهنة قد خرجتا الى حيز الوجود فى عصر كان الاغريق قد بدأوا فى تغيير نظرتهم الى الآلهة ومحاولة الاهتمام بأعمال البشر وسلوكهم ومصائرهم . ففى الإلياذة تتدخل

الآلهة بصورة مباشرة فى أمور البشر ، لكن أسباب ذلك التدخل لا تلقى دائما تمجيذا أو تمييزا اذا ما قورنت بالمستويات الانسانية . تعكس هذه الحقيقة وجهة نظر قديمة . فاثناء الحرب الطروادية تتبع الآلهة أهواءها وتساعد من يروق لها مساعده . فآثينة وهيرا يظهران عداوة شديدة نحو الطرواديين بينما تؤيدهم أفروديتا تأييدا مطلقا ، لا لشيء الا لأن باريس قد منح الربة الأخيرة جائزة الجمال وحرّم الربتين الأوليين منها . فكل من هيرا وآثينة وأفروديتا تسلك سلوك أنثى بشرية عادية ، ويتفق ذلك السلوك مع مفهوم البطولة الذاتية عند الاغريق . فبناء على ذلك المفهوم أيضا تقتل الربة أرتميس نيوبي لأنها تفاخرت بجمال أطفالها ، كما يضطهد الاله بوسيدون أودوسيوس لأن الثانى قتل ابن الأول . وهكذا نجد أن الاغريق اعتقدوا فى أن الآلهة تفضل أفراد البشر الذين لا يخلون عليهم بتقديم فروض التقدير والاحترام . فاذا ما أراد الانسان أن يحقق غرضا ما كان عليه أن يذكر الآلهة بالعلاقات القديمة بين ذلك الانسان والآلهة ويشير أمام محاريبهم الى الأعمال التى قام بها من أجلهم كي يستجيب الآلهة لتوسلاته . فعندما يرغب كاهن أبوللون العبوز خروسييس فى استعادة ابنته التى اغتصبها أجاممنون يصل الكاهن ويتوسل الى الاله أبوللون ويذكره بالعلاقات الودية التى كانت بينهما فى الماضى مما يجعل أبوللون يفضب على الاغريق عامة وينشر الوباء بين صفوف جيوشهم

ان الاله - في نظر الاغريق - كان يعتبر نفسه مسئولاً ومتضامناً مع هؤلاء الذين قدموا له فروض الولاء والتكريم . وعندما يكون أخيليوس على وشك أن يجرد سيفه من غمده ويقتل أجاممنون تتجلى أمامه أثينة وتمنعه من أن يفعل ذلك . وبالرغم من أن هوميروس لم يوضح سبب تدخل أثينة في تلك اللحظة ، فإننا نعتقد أن السبب في ذلك هو أن أثينة ترضى عن أخيليوس وتحميه ، لذلك فإنها لا تتركه يفعل شيئاً يقلل من شأنه أو مجده البطولي أو يلحق الأذى بقائد الجيوش الاغريقية التي أخذت أثينة على عاتقها أن تحميها وتدافع عنها . وهكذا نلاحظ أن هوميروس كان دائماً يفكر في البشر حتى عندما يتعرض لطبقة الآلهة .

وبالقرب من نهاية الإلياذة يروي هوميروس أن سبب قيام حرب طروادة هو « رغبة باريس الجنسية » ، إذ أنه قبل رشوة - وهي الاستمتاع بفتنة هيلينا وجمالها - أثناء حكمه بين الربات الثلاث . وهكذا نرى أن هوميروس يعزو أسباب هزيمة طروادة إلى فشل الإنسان في أن يعتدل في سلوكه وتصرفاته مما يعرضه لأشد أنواع العقاب . ولعل الإشارة إلى ذلك السبب بطريقة عابرة وفي ركن منعزل من الأنشودة الأخيرة من الإلياذة يوضح طريقة هوميروس في التعبير عن رأيه الشخصي كما أنه قد يؤكد أن ذلك الرأي لم يكن يتفق اتفاقاً تاماً مع الفكرة العامة التي كان يعتنقها الاغريق سواء في عصر هوميروس أو

العصور السابقة عليه . أما في الأوديسا فرأى هوميروس
يتصف بمزيد من الوضوح والصراحة . فمنذ بداية الملحمة
يناقش الآلهة مقتل أجاممنون على يد كلوتمنسترا وعشيقتها
أيجيسثوس فور عودة البطل من حرب طروادة رغم تحذير
الآلهة لأيجيسثوس . وتكرر الإشارة الى هذه الفكرة أكثر
من مرة في الملحمة . ان الهدف من ذلك هو مقارنة
أيجيسثوس بالطامعين وتأکید أن الطامعين قد تمادوا في
مضايقه بنيلوبي أثناء غياب أوديسيوس وأنهم يستحقون
فعلا ذلك المصير الذي يلاقونه في نهاية الملحمة على يد
أودوسيوس . ولذلك يقرر الآلهة بالاجماع - ما عدا
يوسيدون - مساعدة أودوسيوس على العودة الى وطنه
والقضاء على الطامعين . ويقع الاختيار على أثينة لتنفيذ
قرار الآلهة ، وتلتزم أثينة بالقرار وتخلص في تنفيذه ،
وتصبح صديقة ومرافقة لتليماخوس ولوالده أودوسيوس .
هكذا نجد في الأوديسا أن الآلهة تعاقب الأشرار لمجرد
أنهم أشرار . وربما قصد هوميروس بذلك أن تصرفات
الآلهة قد يكون لها أحيانا ما يبررها طبقا لمبدأ الجريمة
والعقاب وأحيانا تخضع لإهواء ورغبات لا يمكن للبشر
معرفة أسبابها .

ورغم ما يتمتع به آلهة هوميروس من قدرة على فعل
كل شيء وحرية التدخل في جميع أمور البشر ، فإن ذلك
لم يمنع الانسان أحيانا من أن يصنع مصيره بنفسه وأن

يستغل قدراته البشرية من أجل تحقيق ذلك . فالبشر عند هوميروس يمارسون طاقاتهم البشرية ، ويكافحون من أجل تحقيق المجد لأنفسهم ، وتسمح لهم الآلهة بممارسة تلك الحقوق . لكن كلا من البشر والآلهة يعرف حدوده ، والبطل الحقيقي هو الذي لا يتطاول على الآلهة أو يتحداهم أو يحاول أن يغير من طبيعته البشرية ويكتسب طبيعته الآلهة . فبالرغم من رغبة كالوبسو الجارفة في أن تمنح أودوسيوس الخلود وتجعل منه شخصا لا تدركه الشيوخوخة ولا يلحق به الموت - بأن تطعمه من طعام الآلهة (الامبروسيا) وتسقيه من شرابهم (النكتار) - بالرغم من ذلك فإن أودوسيوس لا يرغب في تحقيق رغبة كالوبسو بل يفضل العودة الى زوجته ووطنه ويواصل حياته بشرا فانيا في محيط بشري . ان مهمة أبطال هوميروس في الحياة هي استغلال مواهبهم البشرية الى أقصى حد ، فاذا ما نجحوا في تحقيق ذلك أثبتوا أنهم على مستوى المسئولية وأنهم رجال حقيقيون كاملون . وكما أن الآلهة يسعون في طريقهم الخاص لأنهم آلهة ، فكذلك على البشر أن يجدوا لأنفسهم طريقا يتفق مع امكانياتهم البشرية ومقوماتهم الانسانية . وما دامت حياة الانسان قصيرة - مهما طال أمدها - فعليه أن يتوجهها بمنجزات هائلة . لذلك نجد أن كلا من هيكتور وساربيدون يدعو قواته الى بذل أقصى ما في وسعهم أثناء القتال غير آبهين بالموت بقدر ما هم راغبون في أن يثبتوا شجاعتهم وشدة عزمهم . فالبطل عند

هوميروس يرى دائما الموت قريبا منه ، لكن ذلك لا يمنعه على الاطلاق من ممارسة الحياة ولا يجعله يتوانى لحظة عن القتال . بل على العكس ، فان فكرة الموت تزيد من صلابة البطل وتطبعه بطابع القسوة والضراوة حتى يستطيع أن يحقق غرضه ويصل الى هدفه المنشود . ذلك هو الفارق الجوهرى بين الآلهة والبشر ، كما رآه هوميروس فى الالياذة والأوديسا : يتصف الآلهة بالصلاية والقسوة والضراوة لكنهم لا يفكرون فى الموت ، أما البشر فيتصفون بنفس الصفات لكنهم يفكرون دائما فى الموت .

بقى أن نعرف أن البشر عند هوميروس لم يعتقدون فى حياة أخرى بعد الموت . فالبشر بعد الموت ليسوا الا أشباحا هزيلة بلا حياة وبلا ادراك . فالموت اذن غاية فى حد ذاته وليس وسيلة للوصول الى عالم أفضل . ولأن حياة البشر قصيرة - مهما طال امدها - ولأنها لا تؤدى الى حياة أخرى أفضل من الحياة الأولى ، من هنا جاء سحر حياة البشر . على الانسان أن يتمتع بكل لحظة من لحظات حياته ، وأن يحقق لنفسه من خلال أعماله الشهرة والمجد والجاه والعزة ولا يرضى لنفسه الهوان أو الذلة أو الاستكانة ، وأن ميتة شريفة مجيدة خير من ألف حياة ذليلة حقيرة . والبطل الحقيقى هو الذى يقدر على مواجهة الخطر ، مهما كان فى ذلك تهديد لحياته أو تعذيب لنفسه أو لبدنه . مثال ذلك عندما يربط أوديسيوس نفسه فى

سارية السفينة ويتحمل آلام قيده حتى لا ينجذب الى منطقة السيرينيات فيكون في ذلك هلاكه وهلاك رفاقه ، أو عندما يغامر بحياته حتى يتخلص من هول الكوكلوبس وينقذ البقية الباقية من رفاقه . فانسان الياذة والأوديسا يجب أن يعيش بطلا ويموت بطلا ، فان لم يفعل ذلك فسوف لا يعد في الأبطال الحقيقيين . ومن هنا نستطيع أن نستنتج استنتاجا خطيرا : هو أن الآلهة ليسوا أبطالاً بأي معنى من معانى هذه الكلمة ، بل انه ليس في مقدورهم على الاطلاق أن يصبحوا أبطالاً في يوم من الأيام ، تماما كما أن الأبطال ليس في مقدورهم على الاطلاق أن يصبحوا آلهة في يوم من الأيام . وهكذا ظلت طبقة الأبطال منفصلة تمام الانفصال عن طبقة الآلهة رغم ما قد ينشأ بين أفراد كل من الطبقتين من علاقات .

الحرب والسلام :

أبرز هوميروس في الياذة والأوديسا فوائد الحرب ومضارها بالنسبة للبشر . فالبهجة التي تحققها المعركة في نفوس البشر تبرز في براعة فائقة جنباً لجنب مع المرارة والأحزان التي تثيرها الحرب في النفوس . يبدو ذلك واضحاً تمام الوضوح في تصوير هوميروس لزوجته هيكتور وأفراد أسرته الذين ليس في مقدورهم أن يشاركوه أمجادهم لكنهم يعتمدون عليه اعتماداً كلياً فيما يتعلق

بسلامتهم وبقائهم - فزوجته أندروماخي تعلم أنه سوف يلقى مصرعة ، وهو نفسه لا يناقشها في ذلك ، بل ان كلا منهما يعلم علم اليقين أن في ذلك شقاء ولدهما الصغير . وبالرغم من أن هوميروس ينهى الإلياذة قبل أن تسقط طروادة فان فكرة سقوط طروادة والأهوال المترتبة على ذلك ترفرف على الدوام فوق رؤوس الطرواديين خلال جميع أجزاء الملحمة . وليست طروادة هي المدينة الوحيدة التي يهوى ملكها وتتحطم أسوارها في أشعار هوميروس . فلقد دمر من قبل وطن أندروماخي في طيبة على يد أخيلئوس . ولقى والدها وسبعة من أشقائها مصرعهم أثناء ذلك . كما رأت بريسيس أيضا بعيني رأسها مصرع زوجها وثلاثة من أشقائها في يوم واحد . لقد فطن هوميروس الى خطورة ذلك الصراع اللانهائي بين أمجاد القتال والشن الذي يجب أن يدفعه المقاتلون لقاء تلك الأمجاد . لكن هوميروس لم يحاول على الإطلاق أن يوفق بين طرفي الفكرة . ان أعظم مجد يحققه الانسان لشخصه لا بد وأن ينتج عنه شقاء يلحق بالطرف الآخر . ولعل هوميروس قد علق على هذه الفكرة بالقرب من نهاية الإلياذة . يقول هوميروس - على لسان أخيلئوس - انه توجد جرتان عند أعقاب الأولومبوس ، واحدة تحتوى على المصائر المشؤومة أى الشر والأخرى على المصائر الميمونة أى الخير ، وان زيوس هو الذى يمنح البشر أيا من هذين النوعين من المصائر . وأفضل الحالات هي عندما تكون حياة الانسان خليطا من هذين النوعين ،

لكن ذلك لا يحدث إلا نادرا . فقالبا ما تتصف حياة
الانسان بالشر .

والحرب التى تحقق المجد للانسان هى أيضا - فى
نظر هوميروس - التى تحقق الدمار والمصائر المشئومة
لكل من الطرفين المتحاربين . وليس أدل على ذلك مما حدث
فى الالياذة : فأخيلئوس هالك لا مخاللة شأنه فى ذلك شأن
هيكثور . وقد تتوقف المصائر على أهواء الآلهة ، لكن
هوميروس لا يلقى كل اللوم على الآلهة . فان كانت الآلهة
قد منحت الانسان الفرصة لتحقيق المجد لشخصه فلا أقل
من أن يكون الانسان مستعدا على الدوام لكى يدفع راضيا
ثمن ذلك المجد الذى أتيحت له الفرصة كى يحققه .

الصداقة والحب :

ان كان هوميروس قد أهتم بتصوير القتال والخصام
فى عالم الالياذة والأوديسا فانه لم ينس أن يصور الصداقة
والحب أيضا . اذ أن عالم هوميروس - كما رأينا - عالم
بشرى قبل كل شئ ، والبشر يكرهون ويحبون ويتقاتلون
ويتصالحون . ولعل أصدق مثال للصداقة هو ما نراه فى
الالياذة بين رجلين من بين صفوف الأغريق . فعندما يموت
باتروكلوس يسيطر الحزن على أخيلئوس . لكنه لا يكتفى
بمجرد الحزن ، بل يندفع فى جنون ووحشية كى ينتقم

لصديقه . ولا يقف جنونه عند حد قتل من قتل صديقه ، بل يسحب جثته خلف عجلته الحربية ويدور بها حول قبر ذلك الصديق كلما اشتد به الحزن . وبالرغم من كل ذلك لا يرى أخيليوس علاجاً لحزنه سوى أنه مقدم على الموت ؛ فالموت وحده هو الذى يقضى على الحزن الدفين ويعوض عن الصداقة المفقودة . ولقد أشار هوميروس الى العوامل التى تؤدى الى نشأة صداقة قوية بين شخصين . فمطامح كل من أخيليوس وباتروكلوس متشابهة تمام التشابه ، كما أن مطالبهما فى الحياة أيضا متشابهة . ويفهم كل منهما الآخر تمام الفهم ، ويطمئن كل منهما الى الآخر كما يطمئن لنفسه . يضحى كل منهما من أجل الآخر . فيضحى باتروكلوس بحياته من أجل انقاذ سمعة صديقه أخيليوس . اذ أن انسحاب أخيليوس من ميدان القتال قد تسبب فى هزيمة الجيوش الاغريقية ، لكن ذلك الانسحاب لم يكن الا احتجاجا على ما لاقاه أخيليوس من اهانة على يد أجاممنون . لذلك فان اشتراك باتروكلوس فى الحرب بأسلحة أخيليوس وعلى رأس رجال أخيليوس قد حافظ على سلامة الجيوش الاغريقية وأرضى فى الوقت نفسه نزعة الاحتجاج فى نفس أخيليوس . ويصور هوميروس صداقة أخرى نشأت بين رجلين من بين صفوف الطراديين : وهما جلاوكوس وساربيدون . فمثلا عندما يصاب ساربيدون بجرح خطير أثناء القتال فانه ينادي جلاوكوس ويطلب منه أن يبعد عنه القوات الاغريقية بأن

يلقى بنفسه بينهم فيتجهون نحوه ويحيطون به حتى تتاح فرصة النجاة لساربيدون . بل ان ساربيدون يذكر صديقه أنه اذا لم يفعل ذلك فسوف يستحق التأنيب ويلاحقه العار . ولعل ذلك يشير الى واجبات الصديق نحو صديقه، ويؤكد أنه اذا لم يقم كل صديق بواجبات الصداقة خير قيام فلا يستحق أن يكون بظلا حقيقيا .

ولم يتناول هوميروس الصداقة بين رجلين فقط ، بل انه تناول أيضا الحب بين الرجل والمرأة . ينقسم ذلك الحب - كما يراه هوميروس - الى نوعين : حب مرذول وهو الذى ينشأ فى ظروف غير شرعية وبوسائل غير شريفة، وحب مقبول وهو علاقة الود والاخلاص التى تنشأ بين الزوج والزوجة . ولقد ضرب لنا مثالين لكل من النوعين . فالحب المرذول له أثره السئ على المحب وعلى المجتمع على السواء . مثال ذلك حب باريس وهيلينا فى الالياذة . فبالرغم من أن هوميروس لا يدين هيلينا ولا يصورها فى صورة المرأة المخطئة فانه جعلها تبكى حظها وتأسف للظروف التى أرغمتها على أن تحيا تلك الحياة الكريهة التى تحياها . كما أن هوميروس لا يظهر حبا شديدا نحو باريس فى الالياذة ، بل انه غالبا ما يجعل هينكتور يوبخ أخاه باريس ويتهمة بأنه لا يقوم بدور شريف فى المعركة . ويضيف هوميروس الى ذلك المثال مثالا آخر - انه الحب الذى نشأ بين أيجيسثوس وكلوتمنسترا أثناء غياب زوجها

أجاممنون • ان هوميروس - كما رأينا - يشير الى ذلك
الحب أكثر من مرة في الأوديسا ، ويجعل الآلهة تدين
أيجيسثوس لأنه لم يستمع الى تحذيرهم •

ومن أمثلة النوع الآخر للحب هو ما نراه بين
هيكتور واندروماخي • اننا نلاحظ أن هوميروس يصور
في حرارة ودفع ما يدور بينهما من مواقف زاخرة بالحـب
والعاطفة ان كلا منهما يحب الآخر حب العبادة والتقديس •
ولعل هوميروس قد عبر عن مدى حب أندروماخي لزوجها
هيكتور بتلك الكلمات القليلة التي تنطلق بها أندروماخي
في الأنشودة السادسة من الإلياذة حيث تقول له : « انك
بالنسبة لي يا هيكتور أب رحيم ، وأم جميلة ، وأخ
حنون ، وانك أيضا زوج قوي » • وبالرغم من أن هوميروس
يرى أن هيكتور يحارب من أجل طروادة فانه يجعله في
موقف من المواقف يقول لزوجته أندروماخي انه لا يأبه
بطروادة ولا بوالده ولا بوالدته بقدر ما يأبه بها • والمثال
الثاني الذي يضربه هوميروس هو حب أودوسسيوس
وبنيلوبي • لقد ظل أودوسسيوس بعيدا عن زوجته عشرين
عاما ، لكنه لم ينقطع عن التفكير في حبها • ولقد رفض
أن يقيم مع الساحرة الفاتنة كالوبسو حين عرضت عليه
الخلود لقاء أن يمكث معها ، وأعلن لها صراحة أنه يفضل
زوجته بنيلوبي عليها • ولقد ظلت بنيلوبي هي الأخرى
مخلصة له ؛ ظلت عشرين عاما تجاهد وتبذل محاولات

عديدة كى تصد عن نفسها الطامعين فيها . لم تنس زوجها الغائب ، ورفضت الزواج من غيره بالرغم من استعداد عدد كبير من النبلاء للزواج منها .

هكذا نرى الصداقة والحب فى عالم الياذة والوديسا جنبا الى جنب مع القتال والخصام . فالحب عنصر أساسى فى حياة الانسان ، يهذب من سلوكه ، ويخفف عنه فى محنته ، ويهدىء من عنف حياته المليئة بألوان النشاط .

خاتمة

تتصف الالياذة والأوديسا ببعض خصائص معينة هي في الواقع وليدة للظروف التي أحاطت بنظمهما وانشادهما وطريقة تداول أشعارهما . فلقد نظم هوميروس أشعاره كي تنشد - هذا اذا لم يكن يرتجلها أثناء انشادها . لذلك نلاحظ وجود بعض العبارات أو الجمل أو الفقرات التي تتكرر بصورة لا فته للنظر أكثر من مرة في أماكن متفرقة من الملحمتين . وقد لا يقبل القارئ الحديث بعض تلك العبارات التي قد يستخدمها هوميروس أحيانا لمجرد أنه اعتاد استخدامها . مثال ذلك عندما يصف السماء أثناء النهار بأنها « ذات نجوم » والسفن الراسية على الشاطئ . بأنها « سريعة » . لكن جمهور المستمعين لم يكن لديه الوقت الكافي كي يفكر في كل كلمة على حدة . ولقد فطن المنشد الى تلك الحقيقة ، لذلك فانه لم يكن يعطى الكلمة اهتماما كبيرا كما يفعل الشعراء الذين اعتادوا استخدام الكتابة أثناء نظم أشعارهم . فالجملة - وليست الكلمة - هي الوحدة التي يستخدمها في نظم أشعاره . لكن ذلك لم يقلل من حيوية الشعر أو جزالته ، فبراعة هوميروس واضحة في اختياره لجملة وعباراته .

ولما لم تكن أشعار الالياذة والاولديسا قد كتبت كى
تقرأ بل نظمت كى تنشد فقد حرص المنشد قبل كل شى
على أن يشد انتباه المستمعين ، وذلك بأن يروى عليها
حادثة بعينها ، ذات طابع درامى ، تكاد تكون كاملة فى حد
ذاتها . اد أنه ليس من المعقول - كما أنه لم يكن أيضاً -
من الممكن - أن يروى المنشد الالياذة والاولديسا كاملة فى
جلسة واحدة ، بل كان يروى أجزاء منها - تماماً كما
يجلس الراوى بين جمهور أهل الريف اليوم ليروى على
أنغام الربابة حادثة من أحداث أبو زيد الهلالي فى كل
ليلة . كما أنه ليس من المستبعد أنه كان لا ينشدها حسب
ترتيب أحداثها ، بل كان يروى الحادثة التى يطلب منه
جمهور الحاضرين الاستماع إليها . ونتيجة لذلك بدأ
التفكك الظاهرى واضحاً بين أغلب أجزاء الملحمة الواحدة ،
مما جعل بعض العلماء يعتقدون أن الالياذة والاولديسا ليستا
سوى مجموعة من القصائد المنفصلة نظمت فى عصور
مختلفة بواسطة شعراء مختلفين ثم قام هوميروس أو منشد
غيره بجمعها وترتيبها فى هيئة ملحمتين ضخمتين .

وحتى لا يتحول انتباه المستمعين عن تطور مراحل
الحدث أثناء رواية حادثة من الأحداث فقد تجاهل هوميروس
أحياناً بعض التفاصيل أثناء روايته لحادثة معينة رغم أنه
يكون قد ذكرها بطريقة مختلفة أثناء روايته لحادثة أخرى
تتعلق بالحادثة الأولى . فمثلاً فى الالياذة يلقى أخيليوس

بحربته بجوار شجرة ، وذلك حتى يستطيع استخدام سيفه نى سهولة أكثر . نكتنا بعد ذلك نعلم أنه ممسك بحربته ، دون أن يقول هوميروس أن أخيليوس قد التقط حربته من جوار الشجرة . ومثال آخر من الأوديسا ، عندما تصل أثينة - فى هيئة آدمى يدعى منتيس - الى قصر أوديسيوس فانها تضع حربتها على حامل مخصص لوضع الحراب داخل القصر . ثم تغادر المنزل بعد ذلك وهى فى هيئة طائر دون أن يوضح هوميروس ان كانت أثينة قد أخذت حربتها معها أو تركتها . قد تبدو هذه الأمثلة غير ذات أهمية ، لكنها تدل على أن الشاعر كان يركز اهتمامه على ما يجذب انتباه المستمعين ولا يكلف نفسه عناء الحديث عن الأشياء التى لا تثير اهتمامهم الا قليلا . فالمستمع قد لا يابه ان كان أخيليوس قد التقط حربته أم لا أو أن أثينا قد أخذت معها حربتها أو تركتها ، ولكن يهمه أن يعرف أن أخيليوس سوف يستخدم حربته وأن أثينة غادرت القصر .

قد تظهر أيضا بعض التناقضات فى كل من الالياذة والأوديسا . وفى الملحمة الأولى نرى ديوميديس بالقرب من بداية الملحمة يهاجم الآلهة ويتناول عليهم ، لكنه بعد ذلك يعلن أنه لا يستطيع أن يهاجمهم أو يتناول عليهم - دون أن يجد جديد من الأسباب التى تجعله يغير من موقفه . وفى الملحمة الثانية تغير أثينة من هيئة أودوسيوس وتجعله

يبدو في هيئة شحاذ عجوز حتى لا يكتشف أحد وجوده
وسط الطامعين . يحدث ذلك مرتين . وبعد المرة الأولى
يخبرنا هوميروس أن أودونسيوس قد عاد الى هيئته
الأصلية ، أما بعد المرة الثانية فانه لا يفعل ذلك . لكن
ما يقوم به أودونسيوس نفسه من أعمال تجعل من السهل
على المستمع أن يفهم مالم يكلف هوميروس نفسه أن يقوله
صراحة . وفى نفس الملحمة يضع أودونسيوس وتليماخوس
خطة للقضاء على الطامعين ، لكنهما فى النهاية يسلكان
سلوكا مختلفا تمام الاختلاف وينفذان خطة أخرى دون أن
يقول هوميروس أنهما قد وضعا خطة أخرى أو يوضح
السبب الذى من أجله غيرا الخطة الأولى . وفى الإلياذة
أيضا يودع هيكتور زوجته أندروماخى الوداع الأخير فى
مشهد مثير رائع قبل أن يلقى مصرعه . لكننا اذا أمعنا
النظر فى الاجزاء التالية لذلك المشهد فسوف نلاحظ أن
هيكتور قضى ليلة كاملة مع أندروماخى بعد أن ودعها ذلك
الوداع الأخير . ويحدث مثل ذلك تماما فى الأوديسا أيضا
حيث يودع أودونسيوس كالوبسو فى مشهد مليء بالانفعالات ،
لكنه يظل بجوارها بعد ذلك أربعة أيام كاملة قبل أن يغادر
الجزيرة .

قد يعتبر القارئ الحديث كل ذلك أو بعضه عيوباً
تقلل من شأن الإلياذة والأوديسا . لكنه فى هذه الحالة
يكون قد تخطى حدود الزمان والمكان ، واستخدم مقاييس

العصر الحديث فى الحكم على أعمال أدبية ظهرت فى الوجود قبل أن توجد هذه المقاييس . فأشعار هوميروس قد مر عليها الآن أكثر من ثمانية وعشرين قرناً من الزمان ، وظهرت فى عصر لم تكن فيه وسائل التدوين أو النشر قد أصبحت سهلة ميسورة . كما أنها لم تنظم لتقرأ بل لتُنشد . فليس من الصواب أن نتجاهل هذه الحقائق ، وليس من العدل أن نتناساها . ولو علم هوميروس أن أشعاره سوف تكون مادة للدراسة فى القرن العشرين فلربما كان قد عدل من أسلوبه فى النظم وتخلص من كل تلك المتناقضات حتى لا يتهم بالاهمال أو توصف أشعاره بالتفكك .

وان كانت الظروف المحيطة بظهور الإلياذة والأوديسا قد جعلتهما تتصفان بما قد يعتبره قارئ القرن العشرين عيوباً فنية فإنها قد جعلتهما فى الوقت نفسه تتصفان بما قد يعتبره مزايا . فلقد حرص هوميروس على أن تكون ألفاظه سهلة ، ومعانيه واضحة ، وتشبيهاته مألوفة ، وأسلوبه جزلاً متدفقاً حتى لا يجد المستمعون صعوبة كبيرة فى متابعة أحداث الرواية . كما حرص أيضاً على أن تكون المشاهد حية والأحداث مثيرة والشخصيات معبرة ، وأن يجعل الحدث يلحق بالحدث الآخر والمشهد يرتبط بالمشهد التالى حتى يستطيع أن يشد انتباه المستمعين . ورغم كل ما قيل عن الإلياذة والأوديسا - ورغم كل ما قد

يقال - فلعل ما قرأناه في هذا الكتيب يوضح ما للآلياذة
والأوديسا من سحر على نفوس البشر مهما اختلفت ميولهم
أو جنسياتهم ، ومهما مرت الأجيال وتلاحقت ، فسحر
الآلياذة والأوديسا - كما رأينا - يكمن في أنهما يتناولان
مجتمعا بشريا . والبشر هم البشر في كل عصر وفي كل
مكان .

فهرس

الموضوع	الصفحة
اهداء	٣
مقدمة	٥
كيف وصلتنا نصوص الالياذة والأوديسا	١١
مادة الالياذة	١٩
مادة الأوديسا	٢٧
بناء الالياذة	٣١
بناء الأوديسا	٣٥
الملحمة فن موضوعي	٣٧
تلخيص لأحداث الالياذة	٤١
تلخيص لأحداث الأوديسا	٦٥
عالم الالياذة والأوديسا	٨٣
طبقة العبيد	٨٣
طبقة الملوك والنبلاء	٨٥
طبقة العامة	٩٣
العلاقة بين الشخصيات	٩٥
طبقة المخلوقات الخرافية	٩٨
طبقة الآلهة	١٠٢
الحرب والسلام	١١١
الصداقة والحب	١١٣
خاتمة	١١٩

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ٢٨٧٠/١٩٧١

وزارة الثقافة
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر

المركز الرئيسي ١١١٧ شارع كورنيش النيل - القاهرة - ج.ع.م.
تليفون : ٧١٠٥٥. ٧١٠٥٨. ٧١٠٥٩ تعريباً : بانثرو

الإدارة العامة للتوزيع : ١٧ شارع قصر النيل - القاهرة - ج.ع.م.
تليفون : ٤٥٥٨٩ / ٤٧٤٣٦

مكتبات القومية للتوزيع في ج . ع . م .

القاهرة

٣٦. شارع شريف ت : ٤٠٠١٢ ١٩ شارع ٢٦ يوليو ت : ٥٥٠٣٢
٥ ميدان عماد ت : ٤٦٣٨٣ ٢٢ شارع الجمهورية ت : ٩١٤٢٢٣
١٣ شارع المتدين ت : ٢١١٨٧ الباب الأخضر بالخير ت : ٩١٣٤٤٧
الاسكندرية : ٤٩ شارع سعد زغلول ٢٢٩٢٥ الجزيرة : ١ ميدان الجزيرة ت : ٨٩٨٣١١
دمهور : شارع عبد السلام الشافعي ٢٦٠٥ القيا : شارع ابن خضيب ت : ٤٤٥٤
طنطا : ميدان الساعة ٢٥٩٤ بسيوط : شارع الجمهورية ت : ٢٠٣٢
المنصورة : ميدان المحطة ٤٢٧٧ اسوان : السوق السياحي ت : ٢٩٣٠
النصرة : أول شارع الثورة ٣٨٦٤

مراكز التوزيع خارج ج . ع . م .

لبنان : الشركة القومية للتوزيع - بيروت - شارع سوريا بناية أهدى صمدى وصاحبة
العراق : الشركة القومية للتوزيع - بغداد - ميدان التحرير - عمادة فاضلة

توكيلات وعملاء دائمين خارج ج . ع . م .

الكويت : وكالة المطبوعات ٢٧ شارع فهد انزال بالكويت
الأردن : مكتبة المنتخب - عمان
ليبيا : محمود عارف الشويدي - طرابلس
التونيسيا : عبد الله محمد العيلروس - جاكرونا
تونس : الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - تونس
الجزائر : ٩٢ شارع ديدوش مراد بالجزائر العاصمة
المغرب : المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع ٤٢ - ٤٤ الشارع الملكي - الاحباس -
الدار البيضاء

هولندا : مكتبة بريل - نيند

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
مخبرات القادري والقرني



الدكتور عبد المنعم شعراوي

- من مواليد القاهرة في نوفمبر سنة ١٩٣٢ .
- مدرس بقسم الدراسات اليونانية واللاتينية بكلية الآداب - جامعة القاهرة .
- دكتوراه في الفلسفة من جامعة بريستول بالانجلترا - قسم الدراسات اليونانية واللاتينية عام ١٩٦٧
- ألف كتاب « المأساة اليونانية » بالاشتراك مع الدكتور محمد صقر خطاجة .
- ترجم كتاب « يوريبديدس وعصره » تأليف جلبرت هودي .
- قام بترجمة بعض اجزاء من ملحمة « الانبياء » للشاعر اللاتيني فرجيليوس .

يصدر قريباً :

أصل الإنسان

بقلم

د. محمد السيد فلاح

الجزء الأول

الكتاب

Bibliotheca Alexandrina



0422079

المكتبة الثقافية (جامعة حرة)

- خلاصة الفكر القويم والإنساني
- تجعل المعرفة متعة تمنح الشعور بالحياة ، رسالة يساعدها على الانتصار في معركة الحياة

بشرى على السلسلة

الدكتور شكري محمد عياد